



الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٢٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك

٣. عن سنة كاملة

٢. عن سنة شهر

٦. عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً

في أول كل شهر ونصفه

العدد السادس عشر - القاهرة في يوم الجمعة أول سبتمبر سنة ١٩٣٣ - ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ - السنة الأولى

على الشاطئ...!

الشاطئ شاطئ استاني! واليوم يوم الأحد! والطرق انجبت
الصاعدة إلى هذا الخليج البهيج تصب فيه أنماط من الناس، في
أنماط من اللباس، وكلهم في سن أهل الجنة! وكنت في هذا
التيار الحار المتدفق كأنتى السمكة الغريبة، تفقد الاختيار، وتخشى
كل شيء!

هبطت مع الهابطين إلى هذا الشاطئ، على سلم من سلاله،
ثم أرسلت فيه عيني فاذا هو مستدير على صدر الماء، استدارة
الهلل البازغ على صدر السماء، وإذا النجوم الزواهر من الأنس
تختلج في قلب هذا الهلال اختلاج العواطف الرقيقة، تهاش في
رقق، ثم تنفجر في سهولة!!

أخذت أخطو ويبدأ من العذارى المتجردات، على استحياء
وارتباك! فلما لم أجد فيهن حتى من تنقى النظر باليد، كما فعلت
«متجردة النابتة» حين سقط نصيفها ولم ترد اسقاطه، أرسلت
نفسى على طيبتها في هذا الخى المباح، وذكرك الأستاذ
«النعالي» وهو يقول بالأمس في لهجة جازعة: «أذهب بربك
إلى (استاني) ثم صف ما تراه»

هاتان عيناى يا صديقى مفتوحتين! وهاتان أذناى مرهفتين!
فاذا أرى وماذا أسمع؟

أكشاك أنيقة الصنع والوضع، تدرجت طبقاتها الثلاث على
حوض الشاطئ، ومظلات شتى الألوان قد ركزت هنا وهناك في
منحدر الساحل، وجمع شاهد عار كسوق الرقيق في ألف ليلة وليلة

فهرس العدد

صفحة

- ٣ على الشاطئ: أحمد حسن الزيات
- ٥ الأمل اليأس: الدكتور طه حسين
- ٧ بين اليأس والرجاء: للأستاذ أحمد أمين
- ٨ ستاني باي: للأستاذ كبير
- ١٠ أسياه ذكري ابن خلدون: محمود أبو ربه
- ١١ مقالات في التصوف الإسلامي: محمد مصطفى حلمي
- ١٤ الزينة عند قدماء المصريين: للأستاذ حسن صبحي
- ١٦ حتى بن يقطان: لأحمد المحمود
- ١٩ بلاط الشهداء: للأستاذ محمد عبد الله عتاي
- ٢١ مكافئ والمريد: للأستاذ أحمد أمين
- ٢٣ ذقت مرتين: للأستاذ بشارة الخوري
- ٢٣ حلم: حسين شوقي
- ٢٣ ليل المذهب: رفيق فاخوري
- ٢٣ حياة ثانية: صالح جودت
- ٢٤ الذكري: م. جميل سلطان
- ٢٤ على لسان شاب مصري في الثلث الأول من القرن العشرين
- ٢٥ عبد الحق حامد: الدكتور عبد الوهاب عزام
- ٢٧ وإذا أتى يوما: للأستاذ أبي فيس
- ٢٨ برفون: عبد الوهاب حرمه
- ٢٩ بحر ناعس: أحمد محمد اليه
- ٢٩ القمار للمجيب: محمد ناجي المنطاوي
- ٣٠ نشوء الكائنات الحية على وجه البسيطة: بشير الياس القرني
- ٣٢ الانبائ غرافيا: الدكتور حسين فوزي
- ٣٧ جنة الصحراء الغربية: للأستاذ محمد ثابت
- ٣٩ بلياس ولبازند: لموديس ماترنك - ترجمة الدكتور حسن صادق
- ٤٢ الفجر - الفصاح - القرميات: روح المبدأ والوطن: للأستاذ د. ن. م.

قد نثر أمام الأكشاك وتحت المظلات وفوق الرمال وبين المياه . .
 وصراع لذيذ عنيف بين أمواج البر، وأمواج البحر، تتخلله صيحات
 وضحكات كرنين القنطرة المصفاة . وأحاديث كهس الأوتار نظير
 من بين الشفاه اليواسم : كما تظير أنفاس الصبي الحالم . ولكنها
 لا تصعد الى حيث يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح ! وبينه
 أجنبية ناسها غير ناسنا . واحساسها غير احساسنا . ولغتها لغة
 فرنسا لا لغة مصر . وسمرتها سمرة الشمس . لا سمرة الجنس !!
 فعلام اذن هذا الجزع الباكي . والقوم انما يجرون على أعراقهم .
 ويعملون على مقتضى أخلاقهم . وبين قتياننا وقتيانهم من العرف
 الاسلامي حجاب . ومن الحياء الطيعي وازع ؟
 كنت ألقى على نفسي هذا السؤال حين جرجر البحر إحدى موجاته
 الضخام الى أعلى الساحل . فخرت الى فوق أنقى هذا المد المفاجي .
 فاذا في واقع ازاء مظلة جميلة منعزلة ، قد انبطحت تحتها فتاة ناهد لم
 تقع العين منذ الصباح على أكمل منها صورة ! وكان ذعر الدائرين
 من هجمة البحر قد لفتها لتنظر ، فلما وقع بصرها على نهضت نهضة
 الظبي الفزع تحيى بالعربية أستاذها القديم !
 — أوه ! فلانة ؟ !

— نعم ! ويسرنى أن أراك بعد خمس سنين

— هل أنت وحدك هنا ؟

— كلا بل معي أخى . . . وقد أنعبه صراع الامواج الثائرة
 قد ذهب الى (الكاين)
 — وكيف حال البك ؟

— الحمد لله خير حال ! وما أكثر سؤاله عنك وأشد شوقه
 اليك ! لقد كان جالسا بالكازينو ثم انصرف الى البيت منذ قليل
 قالت ذلك تليذنى الاربع فراطية المسلبة وهى تنصب كرسيا
 طويلا من القماش دعتنى الى الجلوس عليه ، ثم جلست هى على كرسى
 آخر ، وكانت كماها حواء لا يستر جسمها العارى الا « ورقتان »
 خصفتها عليه ، من أمام ومن خلف ! فرعان ماذ كرت ذلك
 المكتتب الفخم الذى كانت تجلس قبالتى عليه لتستعد لامتحان
 البكالوريا وهى ملففة بثوبها الأزرق الانيق المسبل ، وعيناها
 الساجيتان لا تفارقان الصحيفة حياء وخفرا ، وتغرها الحبي الدقيق
 لا يرسل سهل الكلام الا فى تلثم وبطء !!

لم تدعنى الأنسة فى ذكر اى الارتياب ردت النجى على فتاة فى
 مثل حالها وجمالها ، كانت تسير فى رفقة شاب شديد السمة غطى
 كتفيه شعر كثيف ، كصوف الحروف
 — هذه ابنة فلان وهذا الذى معها أخوها ، وهذه ابنة فلان
 وهذا ابن عمها ، وهذه المضطجعة فى الشمس بنت فلان ومحدثها
 صديق من أصدقاء أخوها

— لولا عليك يا آنسة لحسبت هؤلاء جميعاً أجنباً !

— وما الذى يعمالك على هذا الحسبان ؟
 — هيف القند واكتناز اللحم واتساع الخربة
 — ذلك من أثر الرقص والرياضة . مستكتب ولا شك عن
 استنالى شيئاً فى الرسالة !

— وهل قرأت ما كتب عنه ؟

— قرأته ولم أسنئه . لانه شديد المبالغة سطحي النظر . وأنى
 بأس فى أن تمتع المصرية جسمها كله بأشعة الشمس . وما البحر
 كالغريبة ؟ ؟

— لا بأس . وأظنها تدرك ذلك كله فى شاطئ خاص وفى
 لباس مناسب

— ان شمس الشواطىء . كما تعلم انما تقصد لخصائص أشعتها .
 وكلما تعرض أكثر الجسم لها ، كان أكثر انتفاعا بها ، والامر
 فى الشواطىء . كالامر فى المراقص والمرايض ، يهيم على الحياة
 فيها روح رياضية عالية . تغنى كل إنسان بشأنه عن شأن غيره ،
 فالراقص لا يفكر الا فى الرقص ، والمراقض لا يفكر الا فى الحركة
 والمستحم كذلك لا يفكر الا فى الامواج والاشعة

— ابدنى بالمثال قبل القاعدة يا آنسة . اين تجدين الروح
 الرياضية فى هذه المرأة التى علت صدر هذا الرجل لتعلم فوقه
 السباحة ؟ وأين تجدين الروح الرياضية فى هذين الجسمين الراقدين
 على الرمل يتلامسان بشهوة ، ويتناجيان بنشوة ، وقد اتمعى من
 حولهما البحر والشاطئ والناس ؟ ؟

أرى يا آنسة أن المرأة تسيء الى نفسها بهذا التبذل . حتى من
 الجهة النسوية الخالصة . فانها متى فقدت سحر المحجوب ، وجاذبية
 المجهول ، أصبحت كسائر الاناث من سائر الحيوان

عفواً يا آنسة اذا اصططعت فى خطابك لهجة الاستاذية ، فانها لا تزال
 أقوى الصلات التى أمت بها اليك
 ألا تلاحظين أننا فى الجدد تطور ببطء موئس ، وفى الهزل
 تطور بسرعة جاحدة ؟ ! لقد كنا بالأمس نتجادل فى السفور ، وها
 نحن أولاء اليوم نتجادل فى العزى !!

استودعك الله يا آنسى ! وأسلم على أهلك وأخيك
 ثم أخذت طريقى على الشاطئ . الشهبان وفى نفسى كلام
 حبسته ! على أن من الظلم الموروث أن الرجل يشارك المرأة فى الذنب
 ثم يفردها بالعقوبة ! فالأب يفرود ابنته عارية الى الشاطئ . والزوج
 يجلس مع زوجته عارية على المقصف ! والآخر يتعمى مع أخته فى
 الكشك والبحر ، ثم يتدلع لسان النقد على المرأة وحدها فينهبها
 بحق الفضيلة ويرميها بذبح الخلق !!

يا قوم ، لقد قتشتم فى الشواطىء كثيرا عن حياء المرأة ، فقتشوا
 فيها ولو قليلا عن نخوة الرجل !!

محمد حسن الزيات

الاسكندرية

الأمل اليائس

للدكتور طه حسين

ولدت في آخر القرن السابع عشر سنة ١٦٩٧ . وماتت في آخر القرن الثامن عشر سنة ١٧٨٠ ، وجمعت لنفسها من مزايا هذين العصرين . ما جعلها أبرع الناس أدبا وأشد الناس شكا ، وأوسع الناس أملا . وأقمت الناس يأسا ، وأظهرت الناس فرحا ، وأعمق الناس حزنا . ولكنني أنيت أن أسميها . وقد كان يجب أن أبدأ بتسميتها هذا الحديث . فهي ماري دي فيشي شهيرة Marie de Vichy Champrond التي يعرفها تاريخ الآداب الفرنسية باسم مدام دي ديفاند . Madame du Deffand .

كان مولدها ونشأتها في هذه السنين القاسية التي ختمت حكم لويس الرابع عشر . وأدركها اليتيم طفلة فارسات الى دير من هذه الاديرة التي كان يرسل اليها بنات الأغنياء . وكانت أسرتها عريقة في الشرف والنبل ، متقدمة في خدمة الدولة . محتفظة بمكانة رفيعة بين أشراف الاقاليم . وكانت هذه الاسرة من أشراف بورجونى ، Bourgogne وأجل هذا الاقليم من فرنسا معروفون بالنشاط القوي وحدة الذهن . وذلاقة اللسان ، وحب الحياة ، وإثارة تقدمه الى الناس من لذات . فلم يطل مقام هذه الصبية في ديرها الارستقراطي حتى ظهر من حديثها وسيرتها ما أقلق الاسرة . وأقلق رئيسة الدير . ويجب أن يكون هذا الذي ظهر من سيرتها وحديثها خطيرا جداً . فلم تكن أسر الأشراف لتتلاق من شيء يسير . ولم يكن أهل الاديرة ليضيقوا الا بالشيء الذي لا يطاق . ذلك بأن حياة الناس في ذلك العصر كان قد أخذها الفساد الخلقى ، من جميع نواحيها ، حتى استهانوا بكل شيء . وتجاؤا عما لم يكن يتجافى الناس عنه الا في مشقة وعنف . وحسبك أن تعلم أن الاديرة كانت قد استحالت في ذلك العصر الى قصور فخمة يلبو فيها من أبناء الأشراف وبناتهم من لم تسمح له ظروف الحياة بالعمل في السياسة أو في الجيش ، ومن لم تتح لمن ظروف الحياة أن يظفرون بالزوج . وكان بنات الأشراف خاصة يتخذن من هذه الاديرة دوراً للعبث واللغو ، يترن ذلك بستر رقيق من اسم الدين . ولم يكن ليتخرجن من استقبال الزائرين والزائرات ، ولا من اقامة الحفلات الراقصة ، بل كان الرقص والموسيقى جزأين أساسيين من برنامج التعليم الذي كان يلقي اليهن فيها : فاذا استطاعت صبيتنا هذه أن تزجج أسرتها ،

ورئيسة الدير بما أظهرت في سيرتها وأحاديثها من خروج على التقاليد ، فيجب أن تكون قد أنت أمراً عظيماً . وهي قد أنت أمراً عظيماً حقاً . فقد كانت تجادل في الدين ولما تبلغ الثانية عشرة ، وكان جدالها هذا خطرا مخيفاً . لأنها كانت تنكر أصول الدين انكاراً . وقد استعانت الاسرة ورئيسة الدير على جحود هذه الصبية بعظم من عظماء الكنيسة وخطيب من أبرع الخطباء . في عصره وهو ماسيون Massillon فدعى هذا الخبر للقاء هذه الطفلة وعلاورتها . فلما رأها سمع لها وتحدث اليها وانصرف عنها بانسا وهو يقول انها لظريفة . فلما سألت رئيسة الدير عما تصنع لردّها الى طريق الحق أطال الصمت ثم قال : ضعى في يدها كتاباً من أرخص كتب الدين ، ثم لم يزد على ذلك شيئاً . وذكرت الصبية حين تقدمت بها السن حوارها مع هذا الخبر العظيم ، فقالت : إن عذلى قد اضطرب أمام عذله ، وقالت انى لم أذعن لحجته وانما أذعنت لجلاله ؛ ومعنى ذلك أن الخصمين التقيا فلم يقنع أحد منهما صاحبه ، ولكن أكبر كل منهما صاحبه . فلما بلغت هذه الفتاة العشرين أوجازتها قليلاً ، زوجت من رجل شريف ، عظيم الخطر ، من حكام الاقاليم . ولكنها لم تكد تقضى معه اشراً حتى أنكرته وضافت به وكهرت عشرته كرها شديداً . وكانت تقول عنه إنه يبذل أقصى ما يستطيع ليسوءك ويصرفك عنه . على أنها قد اقعته بالرحلة الى باريس . ولم تكد تصل الى هذه المدينة وتستقر فيها حتى اندفعت في حياة اللهو والعبث ، اندفاعاً لفت اليها الناس ، وجعلها موضوع الاحاديث في هذه المدينة الباسمة اللاهية . وكان لويس الرابع عشر قد مات ، وكان أمر الدولة الى الوصى الذى أقيم على الملك ، الصبي لويس الخامس عشر . وكان هذا الوصى صاحب طموح لا حد له ، وصاحب مجون وعبث لا حد لها أيضاً . وكان الناس قد ساروا سيرته كأنما أرادوا أن يعوضوا ما فاتهم في تلك الايام الحزينة التي ختمت حكم الملك الشيخ ، وما أسرع ما اتصلت صاحبتنا بقصر الوصى واشتركت فيما أقام فيه من حفلات ، ثم اتصلت بالوصى نفسه ، وأصبحت له خليلية ولكن حبه لها لم يتجاوز خمسة عشر يوماً . على أنها قد ربحت من هذا الحب القصير ستة آلاف من الجنيهات الفرنسية ، تصرف لها في كل عام ما امتدت لها الحياة . واسرفت صاحبتنا في اللهو حتى أنكرها أصحاب اللهو من أهل باريس ، وحتى ساءت الصلة بينها وبين زوجها ، فافترقا دهماً ثم كان بينهما صلح لم يطل ، وعادا الى الفرقة . ثم كان بينهما صلح آخر ، قوامه أن يلتقيا على الدماء والعشاء . والايام عيشا معا ، ولكن هذا الصلح نفسه لم يتصل أيضاً ، ففرق بينهما . وعاد الرجل الى قصره في الاقاليم وأقبلت هي على طموها في باريس لا تدع

فما من فنون العبث الا أخذت منه لحظ عظيم ، على أنها لم تكذب
تجاوز الثلاثين حتى تثبت أن ما هي فيه من الأمر باطل كله ،
وحتى سمعت اللهو ، وعاقته ، وأخذت أحسن انصراف الناس عنها ،
فأوت الى أخ لها قسيس أقامت عنده دهرًا ثم انصرفت عنه الى
أخ آخر لها في الأقاليم ، ثم عادت مرة أخرى الى باريس ،
واتصلت بقصر من قصور الأشراف كان يؤوى أكبر من تعرفهم
فرنسا وأوروبا من الأدباء والفلاسفة ، وأصحاب الفن ، وفي
هذا القصر ظهرت قيمتها الأدبية ، واستكشفت براعتها في الحديث
وتبين الذين عاشروها أنها امرأة ليست كغيرها من النساء ، بل
ليست ككثير من الرجال ، وإنما تمتاز بقلب ذكي ، وعقل قوى ،
ولسان فصيح عذب ، ومهارة في نصريه الحديث لا تبسلغ
الاعجاب وحده ، ولكنها تبلغ اعجاز المحدثين مهما تكن منزلتهم ،
ومن ذلك الوقت أخذ أمر هذه المرأة يعظم ، وشأنها يرتفع ، لا
من حيث أنها امرأة جميلة خلابة ، تحب اللهو وتسرف فيه ، فقد
كانت في ذلك الوقت قد بدأت تقصر عن اللهو وتعمى أفراس
الصي ورواحله ، كما يقول زهير ، بل من حيث أنها امرأة أدبية
أرية يستطيع أن يستمتع بحديثها ، وعشرتها ، وبراعتها ،
ذو العقول ، وقد آثرت صاحب القصر إثارة أعظمها
حتى لم تكن تصبر على فراقها ، وأحبها فولير ، وكلف بها
منكبو ، وأطاف بها أعلام الأدب ، والفلسفة من الفرنسيين
يستبقون الى مودتها ، وما هي الا أن تتخذ لنفسها دارا في باريس
وتدعوا إليها أصدقاءها هؤلاء من الأدباء والعلماء والفلاسفة يسلمون
عندها يوم الأربعاء من كل أسبوع ، ثم تضيق هذه الدار بمن يقصد
إليها من رجال فرنسا وأوروبا على اختلافهم ، فتحول عنها الى دار
أخرى رجة تسأجرها في دير من هذه الأديرة الأرستقراطية في
باريس ، وفي هذه الدار التي استأجرتها كانت تقيم قبلها مدام دي
منسيان خلية لويس الرابع عشر ، تلك التي ملأت حياة الملك
العظيم لذة وإثما ، وكلفت رجال الدين من حوله مشقة وجهدا ،
والتي كانت تؤوى الى هذا الدير من حين الى حين تستغفر الله
من خطاياها ، وتضرع اليه في الوقت نفسه أن يحفظ عليها هذه
الخطايا ، أقامت صاحبنا في هذه الدار ، ونظمت استقبالها لأعلام
فرنسا مرتين في الأسبوع يتناولون عندها العشاء ، ويسمعون الى
قريب من آخر الليل ، ويتحدثون فيما شئت من أدب وعلم ، ومن
فلسفة وفن ، ومن سياسة وحرب ، ولكنها لم تكن تحب أن
تشارك الأدباء والعلماء والفلاسفة فيما كان يجري بينهم من حوار ؛
لأنها كانت تكره الأدب والعلم ، وكانت تكره الفلسفة خاصة

وتضيق بها ضيقا شديدا ، وكانت تعنى بأشخاص زائريها أكثر
من تعنى بما كان عندهم من علم ، أو أدب ، أو فلسفة ، كانت مسرورة
في الشك ، وكان إشرافها في الشك يحصرها عما كان
يكلف به الناس في عصرها من هذه الفلسفة الحرة الغالية
التي كانت تعمل في اقديم ، أكثر مما كانت تعمل في الياس ،
وتتقدم السن بصاحبتنا وقدمت زوجها وأصبحت حرة حتى أدام
القانون ، وقد جدت في تنظيم حياتها وانصرفت عن اللهو والمجون
الى حياة الجد ولذة الحديث والسرور ، ولكنها على ذلك اتخذت لها
خليلة عاشت معه نيشة الأزواج ، لم تكن تحبه ولكنها لم تكن
تكرهه ، إنما كانت تستعين به على احتمال الحياة ، كما كانت تستعين
بكل شيء ، على احتمال الحياة ، فقلنا عرف تاريخ الآداب امرأة
ضافت بالحياة كما ضافت بها هذه المرأة ، بل قلنا عرف تاريخ
الآداب رجلا ضاق بالحياة كما ضافت بها هذه المرأة ، كانت متشائمة
كأشدها يكون التشاؤم ، وكانت تردد هذه الكلمة التي تقرها من
أبي العلاء وهي : إن شر من ابتلينا به من الشقاء ، إنما هو الحياة ،
وكانت تستعين بإشرافها في المجون والعبث ، ثم في الجد والاتاج
الأدبي على احتمال الحياة ، ولعلها لم تله ، ولم تعبث ، ولم تجد إلا
لنسي الحياة وتنصرف عن نفسها ، فقد كانت تكره العزلة وتخافها
خوفا شديدا ، فكانت تسهر الليل ، ولا تنام الا قليلا في النهار ،
وتتفق وقتها قارئة أو لاهية ، أو مستقبلة ، ولا تسكاد تبلغ الخمسين
من عمرها حتى يتم الله محنته لها ، وحتى يأخذها الشقاء من كل وجه ،
فهذا حجاب رقيق يلقى شيئا فشيئا بينها وبين النور ، ثم
يتكاثف هذا الحجاب قليلا قليلا ، وهي تحس ذلك وتجزع
له وتلجأ الى الأطباء والسحرة ، والمشعوذين ، فلا نجد عند
أحد منهم شيئا ، والحجاب يتكاثف ويتكاثف ، حتى يستحيل
الى سور صفيق يقطع كل سبب بينها وبين الضوء ، وإذا هي عمياء ،
أفطن ذلك قد غير من سيرتها أو اضطرها الى شيء من القصد
والاعتدال ، ليس من شك في أنها قد حزننا لذلك حزنا عميقا ولكن
حزن اضعف الى حزن ، حفظته في أعماق نفسها ولم تظهر منه للناس
شيئا ، إنما كتبت الى بعض أصدقائها من أعلام الأدب والسياسة
تنبؤهم بهذه الكارثة فنههم من روق لها كفولير ، ومنهم من عبث بها
كمنكبو ، وكلهم قدمضي في كبارها ، والاختلاف إليها ، لم تغير من
سيرتها شيئا كما لم تغير هي من سيرتها شيئا ، فظالت مائدتها تقام
يوم الاثنين والأربعاء من كل أسبوع ، وظلت تختلف الى الأوبرا
والملاعب ، وتشترك في الحفلات كما كانت تفعل من قبل ، واتخذت

بين اليأس والرجاء

للأستاذ أحمد أمين

صوتان لابد أن يرتفعا في كل أمة ، ويجب أن يتوازنا حتى لا يطنى أحدهما على الآخر ، صوت بين عيوب الأمة في رفق وهوادة ، ويستحث على التخلص منها والتحرر من قيودها ، وصوت يظهر محاسنها ويشجع على الاحتفاظ بها والاستزادة منها . والصوتان معا إذا اعتدلا كونا موسيقى جميلة منسقة تحدد الأمة الى السير الى الأمام دائما ، هي موسيقى الجيش تبعث الرجاء والأمل ، وتمنى بالنصر والظفر ، فان بغى أحد الصوتين كانت موسيقى مضطربة تهوش النفس وتدعو إلى الفوضى والارتباك ، وإذا كان الدور ، في الموسيقى يكون منسجما كله ، ويشذأ أحد أصواته لحظة فيكون « نشازا » يחדش السمع ويخرج النفس ، فما ظنك « بدور » كله « نشاز » ؟

نما يدعو إلى الأسف أن صوتا في الشرق علا كل صوت ، وهو ليس خير الأصوات واحبها إلى النفس ، هو صوت اليأس والتثييط يتغنى به كل أصناف الدعاة ، فخطيب المسجد تدور خطبته دائما على أن من يخطبهم ليسوا مؤمنين حقا ، فقد ارتكبوا من الأوزار ، واجترأوا من الآثام ما أخرجهم عن الإيمان الحق ، وأبعدهم عن الدين الصحيح ، ولو آخذهم الله بأعمالهم لأمطرهم حجارة من السماء ، أو خسف بهم الأرض ، ثم يصب هذا المعنى كل أسبوع في قالب ، وكل القوالب تختلف أشكالها ، ويتجدد معناها ، ويخرج السامع دائما وقد ملأه اليأس ، وانقطع به الرجاء ، الا أن يتداركه الله بعفو ليس جزاء على عمل .

ودعاة اللغة والأدب يلحون في أن اللغات الأجنبية خير من اللغة العربية ، وأن الأدب الأجنبي أدب الثقافة والفن والعلم ، ولا شيء من ذلك في الأدب العربي ، وأن من شاء أن يفتح عينه فليفتحها على أدب أجنبي ولغة أجنبية ، وإلا ظل

أعمى ، وموجز دعوتهم أن يتحول الشرق في لغته وأدبه إلى الغرب في لغته وأدبه ، لا ان يختار من لغة الغرب وأدب الغرب ما تلقح به لغة العرب وأدب العرب .

ودعاة الاجتماع أدهى وأمر ، فليس في الشرق كله ما يسر ، قد جرده الله من كل حسن ، فلا طبيعته جميلة ولا مناظره جذابة ، ولا شيء فيه يأخذ باللب ويدعو إلى الإعجاب ، والقمر في الغرب أنور منه في الشرق ، والبحر الأبيض قد جمل منه ما لامس الغرب ، وقبح ما لامس الشرق ، وكل شيء في عادات الشرق وتقاليده تعافها النفس ، وينفر منها الطبع ، وعلى الجملة فالله تعالى الواهب ماشاء لمن شاء قد جمع الحسن كله في ناحية ، وقال له كن الغرب فكان ، وجمع القبح كله في ناحية وقال له كن الشرق فكان . وهم اذا لم يقولوا ذلك كله جهارا آمنوا به ايمانا ، وصدرت عنه أفعالهم ، واتجهت اليه حياتهم .

ودعاة العلم من هذا الطراز ، فكتب العلم العربي انما تصلح لدارس التاريخ أو طعمة للنار ، وماذا فيها إلا تخريف أو تحريف ، قد كانت نتاج القرون الوسطى ، ونحن نتاج العصر الحديث . ومالي والسياسة ودعاتها فلا هرب من منها انقاء لنارها . ومجالسنا صدى لهذا الصوت ، فاذا استئنيت عشر معشارها فكلمنا نقد للأخلاق ، وطعن في حياة الشرق ، وتهجم على حال أمتهم ، وتهجم لكل ما يصدر منهم . وقل أن تسمع صوتا ينطق بمدح أو يعجب ببطولة ، أو يتغنى بعمل مجيد .

هذه نعمة مملولة كانت أجنبي على الشرق من كل عيوبه ، ولن تفلح أمة من غير ذخيرة تعثر بها ، ومجد طارف وتليد تعتد به ، ونعمة قومية تدعوها الى الفخر والإعجاب . ولأمر ما قال تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، وليس عبثا أن يكون في أناشيد الألمان « ألمانيا فوق الجميع » ، وأن يعتقد بعض الأمم في أنفسهم أنهم شعب الله المختار ، ونحو هذا مما ينشع الأمل ، ويدعو الى العمل .

تلك ظاهرة نفسية لا مجال لأنكارها ، فاعتقد الغباوة في طفلك وكرر عليه اعتقادك تقتل كل مافيه من ذكاء ، واعلن أنه ذكي وشجعه على ما يبدو منه من ضروب الذكاء تستخرج أقصى ما عنده من عقل . وفي المثل الانجليزي « دَعُوا الكلب

ستانلى باى!

لاستاذ كبير

! يشأ أن يتعرف لقرائنا اليوم

نعم هو ستانلى باى الذى تكتب عنه الآن الجرائد اليومية كل يوم . والذى تكتب عنه المجلات الأسبوعية كل أسبوع . . .
فإن الرسالة لا تسام في حديثه وقد أصبح حديث جميع من في مصر . . .

أفليس هو الذى يزوره (الأستاذ الصاوى) فيتكلم عنه في (الأهرام) يومين متاليين ؟

أليس هو الذى فى (قطر الندى) كما يسميه أهل الاسكندرية الظرفاء . وهو نفس ما يسميه مدير السكة الحديدية (قطار البحر) ؟
أليس هو الذى حرته القاهرة فقام فنانوها من مديري المسارح والصالات ينقلون مشاهدته الى مسارح القاهرة ؟

أليس هو الذى يشغل بال حكامدار بوليس الاسكندرية ورئيس نيابة الاسكندرية ؟

نعم أليس هو الذى استلفت أخيراً نظر رجال الدين ، على رغم ما هم آخذون فيه من توزيع (الطوايع) الجديدة التى ابتكروها لاسترداد هبة الاسلام واعلاء كلمة الدين ؟ !

إن الرسالة وقد جعلت مهمتها أن تقاوم حيرة الأمة بتوضيح الطريق كما جاء في عهدها ، لا تستطيع أن تفكك من قيود التحدث الى الأمة في هذا الموضوع الذى يشغل الدنيا والدين على السواء . ولقد كان من حق قراء (الرسالة) أن ينتظروا كلمة من بعض أعلامها المعهودة أو تعليقا من حامل شعلتها الوضاعة . ولكن بخيل إلينا أن هذه الأعلام قد استراح كل منها الى موضوع فهو لا يفتأ يتقلب فيه ، وقد استقل كل منها يبحث فهو لا ينفك يحول في حواشيه ، فالدكتور عزام مثلاً في محمد اقبال وعبد الحق حامد وناقى كمال . والأستاذ العبادى ماين ذرياب وعمر بن عبد العزيز . والأستاذ أمين أخيراً في عكاظ والمريد . والدكتور طه أخيراً أيضاً في لغو الصيف ما بين مصر وما وراء مصر . . . ولكن لا عن طريق ستانلى باى والسلام !

فلم يبق بعد ذلك الا أن يتقدم الفضوليون الذين لا يريحون ولا يستريحون . وإنى أعوذ بالله . وأنا أثبر هذا الموضوع . أنا أكون أحد هؤلاء . . .

عقورا فشنق . يعنون أنهم اعتقدوا في كلب سوريا وسموه عقورا وظلوا يطلقون عليه هذا الاسم حتى صدر منه من أفعال السوء ما استوجب قتله . وفي أمثالنا العامة ، قالوا للفلاح يا حرامى شرشر منجله . ذلك أن الاتهام يجعل على ارتكاب الجريمة من ناحيتين : من ناحية الإيعاز ، فمن اتهمته فقد أوغزت اليه واقترحت عليه العمل ، وأظهرت له الجريمة مائلة أمام عينه حيناً بعد حين . ومن ناحية أن أكبر ما كان يمنعه من الشر خوفه أن يتهم بالشر ، فإذا اتهمته فقد كان ما يخشاه ، وأقدم على ما كان يتحاماه . هذا الى ما يوحى به الاتهام الدائم من شعور باطنى يسيره نحو العمل وفق الاتهام ، وهذا هو السر فى أن بعض قوانين تسن لمعاقبة بعض أنواع الأجرام فتكون سبباً لكثرة الأجرام . ثم ترفع فيقل الأجرام . لأن وجود القوانين كان موعزا بارتكابها . ولعل أنواعاً من الآثام زادت بكثرة الكلام فيها من جهلة الوعاظ ممن لم يحسنوا دراسة النفوس وقوانينها

إذا سقط الفتى قاريته أن سقطته قابلة للعلاج ، وأخذت بيده لانتشاله . كفر عن سقطته وعاد الى حاله ، وإن أنت أريته أن سقطته لا تغتفر . وأنه لم يصبح انساناً استمر يسقط أبداً . وكثير من الساقطين والساقطات لو أحسوا في الناس استعداداً لقبولهم ، وشعروا أنهم يفسحون لهم في صدورهم لعدلوا عن سقطتهم ، ونهضوا من عثرتهم .

وبعد فليس الشرق ، بدعا من الخلق ، إن اعتر أحد بماض فليس أبجد من ماضيه ، وإن كان لكل أمة غريبة محاسن ومساو فللشرق محاسنه ومساويه . وإن كانت مساوى الغرب لم تمنعه من نهوضه فلم تمنع الشرق مساويه من نهوضه ؟ ليس أعوق للشرق من هذا الصوت الكريه يصدر من دعااته فيبحث اليأس وينفث السم .

أيها الدعاة : كسروا قيادتكم هذه التى لا توقع إلا نعمة واحدة بغضنة ، واستبدلوا بها قيادة ذات ألحان صنعها طرب بأدواء النفوس عليم ، واكثروا من ألحان تبعث الأمل ، وتدعو الى العمل ، وتزيد الحياة قوة ، ولا تشهروا برذيلة الا اذا أشدتم بفضيلة ، ولا تسمعونا صوت المعاول ، الا اذا أريتمونا حجر البناء .

كنت من رواد هذا الشاطئ، منذ نحو عشرة أعوام، ومازلت أزوره كل عام، فأقسم لك صادقاً أن لست أدري قيم هذه الضجة التي بدأت تقوم حوله في هذه الأيام؟...

لقد كان الطريق إليه فيما مضى متعباً مترباً، فتعب واستقام، وكان شاطئه مجهداً مرهقاً في السير لزيارة رماله، فقام إلى جانبه امرئ مهندس يسهل يجعل السير فوقه متعة من متع الحياة، وكانت (أكشا كد) على غير تسق، يقوم فيها الكبير إلى جانب الصغير، والوجه إلى جانب القمي، والعالى المشرف إلى جانب المنخفض الرضيع، فتناولوه الذوق السليم بالتهذيب حتى أصبح في صورته الحالية درجات متائلة بعضها فوق بعض كأنه التلادة الفرعونية تزين صورة ذلك الشاطئ الجميل.

هذا هو الشاطئ، نفسه ما بين يومه وأمه...

أما أهله فهم هم أهل «ذلك» الزمان، وأما زبهم فهو زى «هذا» الزمان! فمن أراد أن يشور بالشاطئ، فلست أدري لم لا يشور بكافة الطرقات التي تنشاها السيدات؟ وهل أنت ترى فوق ذلك الشاطئ، إلا من ترى في الترام وفي غير الترام من مسالك الاسكندرية وشعابها؟ إنهم وحق أليك ليس فيهم من خلق جديد، ولكنهم يبدون في الطريق بزي الطريق وينزلون إلى البحر في زى البحر، فانظر أية الزيتين أدعى للفتنة وأيتهما أقرب إلى الفجور؟...

هذه سيدة في عربة الترام تراها وثوبها يغطي جسمها، وقبعها تغطي رأسها، وحذاءها يغطي رجلها، فهل حقيقة تغطي شيء من ذلك؟

أنت ترى تحت القبة شعرا مصفوا، وجدائل بعضها يتدلى فوق الأذن، وبعضها يزين الجبهة، وبعضها يمر فوق الخد لتلعب ضدية الألوان دورها في إبراز محاسن العنصرين... اشراق الوجنة، وخومة الخصل؟

ثم انظر ماذا فعل الثوب بالجسم؟ ألم يلف مفرطحه وينمض بمترخيه؟ ويضبط هنا وينسد هناك؟ ثم ينشق فوق الصدر تلك الانشقاقة الماكرة التي يبدو منها انفلاق الثديين! إنما مثل هذا الذي يفعله الثوب في جسم صاحبه كمثل المعلم الذي يمسك (بمؤشره) فيؤشر به لتلاميذه على هذا الموقع من الخريطة حيث «مجمع البحرين» وعلى ذلك حيث «مفرق الجباين» وهكذا....

إن كل قطعة في لباس المرأة المصرية إنما يؤدي اليوم غرضاً واحداً هو إبراز ذات المحاسن التي كان المقصود به أن تسترها.

أما اعتبارات الجسد والاحتشام وما إلى ذلك من تلك الأغراض التي اتخذ الإنسان الأول من أجلها اللباس فقد انطوت مع أهلها ومع زمانها....

ثم دعني أعود بك إلى الخدام، أفلا يتخذ النساء الآن غرماً مهلاً مثقياً؟ وهو على الرغم من كل ذلك يلبس فوق الجلد بغير جوارب أو نحوها.

حدثني بعد هذه الصورة وكن صريحاً... أى المظهرين أشهى للعين وألفت لنظرها؟ أهى القدم الخافية أم المستورة تحت مثل هذا الخداء المتضوح؟ أم هو الجسم الصريح الهادى على علته أم ذلك المرائى المتحصن في كل تلك الغلائل... هذه تبرز نهديه... وتلك تضغط كشحبه... وغير هذه وتلك من الخرق والمزق التي تغريك كل قطعة منها بكشف ما دونها ومعرفة ما وراءها!

إن ما يثير للرجل من المرأة ليس هو ظهرها المتجرد، ولا هي سيقانها العارية، ولكنها نظرتها الساجية التي ترخيها في وجه الرجل كأنما تدافعه عن نفسها وهي إنما تراوده بها عن نفسه!

وليست المرأة العارية هي التي تبعث الفتنة، فقد علمنا أن في هذه الدنيا قبائل كاملة يعيش نساؤها عاريات وسط الرجال، فلم نسمع بأن ذلك كان مدعاة إلى أن يتخطف الرجال بعض هؤلاء النساء، ولا أن تشيع الفتنة والفساد في تلك البيئة بسبب هذا العراء، ولقد علمنا من الجانب الآخر بأن الفتنة على شئ ما تكون هنا في طرقات القاهرة والاسكندرية حيث (الملاعات) التي تنسدل من الرأس إلى القدم، ومع ذلك فأنها لا شأن لها إلا أن تحسر الأرداف، وتتحسر عن بعض السيقان، تبدى جانباً منها وتضن بالجانب الآخر، إيماناً في الفتنة واستفزازاً للفرائز

أنى أحدثك صادقاً أن الرجل يكون في البحر أو فوق الشاطئ، توج حوله السيقان، وتصطخب الأنداء، وتلألا الظهور، وتفرق النحور، فلا يشغله كل ذلك بمثل ما يشغله في الطريق وقوف امرأة تميل على جوربها ترفعه، أو انشغال أخرى بذيل ثوبها ترخيه على ساقها بعد إذ هفا به من فوقهما النسيم

وعلى الرغم من كل ذلك فإن النياحة... والبوليس... والصحافة... ورجال المطافى... ورجال الدين... كل أولئك يمثلون الحرب عواناً على... «شاطئ ستانلي باي» «مصطاف»

أحياء ذكرى ابن خلدون

نشر الأستاذ محمد عبدالله عنان فصولاً في الرسالة أرّخ فيها العلامة ابن خلدون، فكانت هذه الفصول ولا غرو خيراً ما كتب في تاريخ هذا العلامة، بيد أن الأمر الذي يرجو الناس ودعاه إليه الصحافي المعجوز في مايو سنة ١٩٣٢ بالاهرام لم يتحقق ولم يصل إليه، دعا هذا الصحافي الفاضل إلى أحياء ذكرى ابن خلدون لكي ينتفع هذا الجيل وما بعده بهذه الذكرى الطيبة، وقام الكتاب على أثر ذلك يبينون ما نعمل لأحياء هذه الذكرى، وكان من رأى الأستاذ أحمد زكي باشا أن ينصب له تمثال، وإن يبحث عن قبره ليثبته. وكان من الآراء القيمة النافعة أن يطبع تاريخ ابن خلدون ومقدمته وينشرا على الناس بنفقات طبعهما. وهذا الرأي كان خيراً الآراء وانفعها، وقد انقضى عام وبعض عام بغير أن نرى أحداً قد نهض لأحياء هذه الذكرى. ولقد كنت قرأت في صيف سنة ١٩٣٣ للرحوم تيمور باشا بحثاً في الهلال، أبان فيه أنه لا يوجد في ما طبع من مقدمة ابن خلدون طبعة صحيحة، وأنه رأى بخزانة الأستاذ زكي باشا نسخة مخطوطة صحيحة بقلم ابن خلدون نفسه، فرجعت إلى

أحمد زكي باشا لأسأله عما قال تيمور باشا فأجاب بأن لديه حقيقة نسخة مخطوطة مصححة بقلم ابن خلدون، وأنه في سنة ١٩٣٠ أتى بصورتها عن النسخة الأصلية الموجودة بمكتبة عاطف افندي بالأستانة، وزاد على ذلك بأنه يدعو من يشاء إلى طبعها ونشرها. ولما استيقنت من وجود هذه النسخة أرسلت خطاباً إلى رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر، رغبت إليه أن تعمل اللجنة على نشر هذا الأثر الجليل. فرد على تحضرته في أغسطس سنة ١٩٣٧ بأن اللجنة توضع اقتراحاً موضع البحث، فقررت بهذا الجواب وجعلته بشرى أذعتها بجريدة المقطم الغراء بين الناس. وما قد انقضى ستة أعوام كاملة بغير أن يتحقق ما رجونا.

ولما كان من أغراض اللجنة الموقرة نشر الكتب القيمة، وليس من شك في أن تاريخ ابن خلدون بمقدمته الموجودة بالخزانة الزكية هو خير ما ينشر من كتب الأوائيل في هذا العصر، فاني أعيذ الرجاء على صفحات الرسالة إلى هذه اللجنة الموقرة، لتعمل على طبع هذا التاريخ ومقدمته، ويكون ما كتبه الأستاذ عنان تصديراً لهذا التاريخ، وبذلك تكون اللجنة قد أدت للعلم والأدب أجل عمل. ولا ين خلدون أجمل ذكرى ؟ محمود أبو رية

دائرة المعارف الإسلامية

... انكم بترجمتكم لدائرة المعارف الإسلامية تؤدون أكبر خدمة للإسلام،

عمر طرسون
(من حديث لسموه مع أعضاء لجنة الترجمة)

... ان لم تكن أعظم عمل على قامت به مصر فانه من أعظم أعمالها،

خليل مردم
(عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)

- يجب أن يقرأها كل شرقي -

- (١) لأنها أوسع قاموس تناول تراث الإسلام وما يتصل به.
- (٢) لأن شيوخ المستشرقين هم الذين قاموا بتأليفها وإصدارها.
- (٣) لأنها تمتاز بأسلوبها العلمي ووفرة ماذكرته من مصادر عقب كل بحث.
- (٤) لأن اللجنة القائمة بالترجمة تتحرى الدقة والامانة في النقل.
- (٥) لأن الذين يقومون بالشرح والتعليق والرد هم قادة الفكر في مصر والشرق العربي.
- (٦) لأنها أنموذج جديد في شكلها وطبعها وطريقة إصدارها.
- (٧) لأن هذا العمل صادف القبول والتشجيع من جميع الهيئات العلمية والدينية في العالم العربي.
- (٨) لأن قيمة الاشتراك زهيدة جداً.

عن ستة أعداد داخل القطر : ٤٠ قرشاً صاعاً مصرياً

..... خارج : ٧٠ قرشاً صاعاً مصرياً

- (٩) يظهر العدد الأول في أول أكتوبر القادم. عدد النسخ المطبوعة محدود. ترسل الاشتراكات اذن بوسنة برسم أمين صندوق اللجنة إبراهيم زكي خورشيد

مقر اللجنة : ٣٣ شارع قصر النيل بمصر

مطالعات في التصوف الاسلامي

تمهيد — كشف المحجوب، — عوارف المعارف

— ١ —

١ — يمتاز العصر الذي نعيش فيه بأنه عصر نهضة فكرية تتناول الحياة العامة والخاصة للأفراد والجماعات ويمتاز هذا العصر أيضاً بما استحدث فيه الباحثون من مناهج علمية لها قيمتها وأثرها في كشف الحقيقة التي يقصد إليها كل باحث. على أن هذه النهضة مهما تكن عامة شاملة، وهذه المناهج العلمية الحديثة مهما تكن دقيقة متبعة، إلا أننا لا نزال نرى أن في تاريخ الفكر الاسلامي ناحية خصبة بمنحة طريفة قد أعرض عنها الباحثون من الشرقيين أعراساً هو أقرب ما يكون الى الإهمال الشنيع منه الى أى شيء آخر. على حين ترى الباحثين من المستشرقين قد عنوا بهذه الناحية عبارة خاصة فائقة. فكشفوا عن خباياها وأظهروا ما اشتملت عليه من فكر عميق وشعر رقيق. وأحسوا بما تأثيره في نفوسهم هذه الآثار من منحة عقلية ولذة شعورية. هذه الناحية التي أهملها الشرقيون وعنى بها المستشرقون هي ناحية التصوف الاسلامي وما أنتج فيه من مؤلفات لها مكانتها الأدبية، وقيمتها الفكرية بين ما أنتج العقل البشري عامة، والعقل الاسلامي خاصة.

وليس أدعى للأسف ولا أبعث على الحسرة من أنك اذا أردت أن تعرف شيئاً عن تاريخ التصوف الاسلامي: نشأه وتطوره، وإن تلم المأما كافياً بمن ظهر من متصوفة المسلمين في عصور الاسلام المختلفة، وما صدر عن هؤلاء المتصوفة، من شعر ونثر وإشارات وإيماءات تلمس هذا كله عند المستشرقين في لغاتهم الأوروبية المختلفة. وتلمس هذا كله بصفة خاصة عند ماسينيون في الفرنسية وعند نيكلسون في الانجليزية. وأنت لاشك واجد عند هذين العالمين ما تنفع فيه من بحث منظم وأسلوب على دقيق. وتصوير جميل يذيع لهذه الشخصيات الفذة العجبة التي ظهرت إبان المصور المتعاقبة لتاريخ التصوف الاسلامي. وإنك حين تتصفح كتاباً من كتب المستشرقين فليس من شك في أنك ستعجب بمهارتهم الفائقة في البحث وعفدتهم الغريبة على جمع الأخبار ولم شعث الآثار وتحقيقتها على ضوء المنهج العلمي الحديث بحيث يثبوتون من هذا كله الى الحقيقة الثابتة التي لا يأتينا الشك من بين يديها ولا من خلفها. وليس من شك أيضاً في أنك ستقدر

ما بذل هؤلاء القوم من جهد، وما تحملوا من مشقة وألم في سبيل اخراج ما أخرجوا من أبحاث منظمة وأسفار قيمة.

وليس أدل على عناية المستشرقين بالحضارة الاسلامية عامة وبالتصوف خاصة من أن أحدهم وهو العالم الكبير والباحث الجليل الميسرولويس ماسينيون قد قضى أعواماً طويلاً يحجج فيها البلاد الاسلامية المختلفة باحثاً عن نصوص صوفية لم يسبق نشرها. وقد وفق فيما قصد اليه توفيقاً عظيماً كانت ثمرة هذا الكتاب التقييم المسمى « مجموعة نصوص لم يسبق نشرها تتعلق بالتصوف الاسلامي ». فهايك بأن الميسر ماسينيون قد تعرض الى بحوث شخصية قوية جداً وغريبة جداً من شخصيات التصوف الاسلامي وأعنى بها شخصية الحلاج. فكانت ثمرة بحثه هذا السفر الضخم حقاً، الخالد حقاً، في تحليل شخصية الحلاج ونفسه، والابانة عن مذهبه وعن رأى المدارس الاسلامية المختلفة فيه. وليس أدل على عناية المستشرقين أيضاً بهذه الناحية القيمة الممنعة من انهم قد عمدوا الى ما أنتج المتصوفة من مؤلفات فأرسلوها درسا وتحليلاً وما هي الا أن تناولوها بالترجمة الى لغاتهم وشرحوها وعلقوا عليها. وما هي الا أن طبعوها وأذاعوها في الناس. وما هي الا أن قرئت هذه المؤلفات وفهمت ونوقشت. وانتهى هذا كله الى أن اختلف المستشرقون حول هذه الكتب فمنهم من تعصب لها ومنهم من تعصب عليها ومنهم من رأى فيها رأياً غير الذي يراه غيره. ومن هنا كثرت المؤلفات الأوربية في التصوف. على حين أنك اذا أردت أن نثر على كتاب في العربية يعطيك صورة واضحة جلية لنشأة التصوف وتطوره في الاسلام فأنك لن توفق الى بفيتك. ذلك لأن الشباب المثقف عندنا قد ضاع صدره بكتب التصوف القديمة كما ضاع بغير كتب التصوف من الآثار الاسلامية وغير الاسلامية، فأنت اذا طلبت الى شاب مصري مثقف أن يطالع كتاباً عربياً قديماً في التصوف فن المؤكد أنه لا يكاد يقرأ منه فضلاً عن استغفر الله. بل أنه لا يكاد يقرأ منه صفحة أو صفحتين حتى تضيق نفسه، ويخرج صدره، ويستولى عليه الملل والسأم، فيلقى بالكتاب القاء على أن لا يعود اليه مرة أخرى. ولعل عذره في ذلك هو ان ما تكلفه قراءته وما تحمله مشقة مطالعته إنما هو كتاب مختلط مضطرب لم ترتب أبوابه. ثم هو ضخم طويل ان عرف أوله فقد لا يعرف آخره. وأكبر الظن أن شابنا حين ينظر الى الآثار الاسلامية هذه النظرة التي هي أقرب الى الازدراء منها الى أى شيء آخر. أقول ان شابنا مسرف على نفسه وعلى الحضارة الاسلامية، مسىء الى نفسه وإلى الحضارة الاسلامية. ولو قد تجمل

بالصبر على ما يقرأ وتضرع بالثبات أمام ما يقرأ . واستعان بالفهم المستقيم لما يقرأ . لانهى منه الى ما يشبع رغبته وبرضى حاجته العقلية والشعورية . واذن فما أجدر شبابنا المثقف أن يعتمد الى هذه الواحي المهمة من تراثنا المجيد فيناولها بحثاً وطلاً ، وتفسيرا وتأويلاً ، بحيث يخلصها لمهاج البحث الحديث فهي كفيلة بأن تكشف له عن وجه الحق فيما يقرأ ، وهي كفيلة بأن تشعره بما في قراءته من لذة قوية ومتاع خصب .

وأحب أن أحدثك في سلسلة من الفصول عن التصوف الاسلامي فأتناول في بعضها الحديث عن بعض المؤلفات الصوفية التي أودعها أصحابها مسائل التصوف ونظريات . وأتناول في بعضها الآخر تحليل بعض الشخصيات القوية التي ظهرت في تاريخ التصوف الاسلامي فكان لها أكبر خطر وأعظم أثر . وبهذا أكون قد قمت بحجز من الواجب على كل شاب مصري مثقف أن يقوم به نحو هذا التراث الاسلامي المجيد . وأحب بعد هذا كله أن أتناول في هذا الفصل كتابين عنى بهما المستشرقون فترجموهما الى لغاتهم ، وذلك لأن هذين الكتابين يعدان من أهم الكتب التي تظهرنا على المسائل الصوفية ، والاشارات الباطنية ، وما ينسب الى المتصوفة من أقوال في هذه الاشارات وهذه المسائل . هذان الكتابان أحدهما « كشف المحجوب » للهجویری . والثاني « عوارف المعارف » للسهروردي .

٢ - أما مؤلف « كشف المحجوب » فكان معاصراً للقشيري الصوفي الفارسي الذي عاش بنيسابور وتوفي عام ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م) والذي يعرف بمؤلفه المشهور « الرسالة القشيرية » . ولم تكن لكشف المحجوب هذه الروح القدية المؤسسة على قواعد عليية راسخة ، فهو كتاب من هذه الكتب التي يمتاز مؤلفوها بالقدرة على جمع المسائل الصوفية وأخبار المتصوفة ، ووضعها في أقسام وأبواب . هذا فضلاً عن أن هذا الكتاب قلما يذكر فيه شيء عن تواريخ الأشخاص الذين يتحدث عنهم . ولعل أكثر ما يذكر لك عن الشخص الذي يعرض له قولاً أو قولين من هذه الأقوال التي تنسب اليه . وأنه ليكتفى بهذا القول أو هذين القولين فيعتمد اليهما بالشرح والتفسير ولكنه شرح غامض وتفسير مبهم . ومن الحق كل الحق ألا يثق الباحث المدقق ثقة تامة بكل ما ينسب الى المتصوفة من أقوال وما ينسب حولهم من قصص كذلك التي يذكرها الهجویری في كتابه . وإنما هو مضطر على العكس الى أن يخضع هذه الاخبار وهذه القصص وهذه الأقوال الى البحث العلمي الصحيح فينكر بعضها حين يلزم الانكار ويشك في بعضها الآخر حين يجب الشك . ويرجح طائفة منها اذا كانت هناك حائجة الى الترجيح ويؤكد طائفة أخرى حين لا يجد الشك

سبيلاً الى ما يؤكد بحيث ينتهي من هذا كله الى الحقيقة الثابتة الراسخة التي لا تقبل شكاً ولا تحتمل جدلاً . وإذا كنا نلجس في تضاعيف المؤلفات الصوفية أموراً من شأنها أن نحمّلها على التفكير وتدعونا إلى الشك فلا بد لنا من أن نقف من هذه المؤلفات موقفاً إن لم يكن موقف المتشكك المرتاب . فلا أقل من أن يكون موقفنا المحقق المدقق الذي لا يمتني من وراء تحقيقه وتدقيقه الا وجه الحقيقة حالها صافياً لا تشوبه شائبة . ولعل الهجویری نفسه قد قدم لنا مثلاً لما من شأنه أن يحمّلنا على الشك في صحة بعض ما يذكر في كتب التصوف النديمة . فهو حين يتحدث عن الخلوى يقول : « هو مترجم الاولياء المعروف ولكن يفسر المذاهب الصوفية الاساسية فتد نسب الى شخصيات عديدة قصصاً ألفها هو . . . » . ومهما يكن من شيء فلك مسألة تركها الآن لعرض الى تلخيص الكتاب الذي نحن بصدد .

يرجع الهجویری بداية التصوف الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما يذكر تحت اسم (أهل الصفا) فريقاً من الصحابة الذين وقفوا حياتهم على التضحية وكانت معيشتهم اقرب الى الاعراض عن الدنيا والزهد فيها ، منها إلى الأقبال عليها والميل اليها . ولعل أشهر هؤلاء الصحابة رجلان : أحدهما بلال الحبشي والآخر سلمان الفارسي . أما في الجيل الأول من التابعين فاقوى الشخصيات التي ظهرت وذكرها الهجویری شخصية الحسن البصري . وليس ثمة شك فيما لهذه الشخصية من أثر قوي وخطر عظيم في تاريخ الحضارة الاسلامية . فاسم الحسن البصري يذكر على رأس دراسات اسلامية متعددة . فهو يذكر في دراسة القرآن والحو وعلم الكلام وغير ذلك من فروع الثقافة الاسلامية المتنوعة .

ويذكر مؤلف « كشف المحجوب » بعد جيل الحسن البصري أربعة وستين صوفياً أخذ بعدهم حتى دنا من العصر الذي كان يعيش فيه . وانك تراه يذكر فيميز بين من هؤلاء المتصوفة أبا حنيفة وابن حنبل وداود الطائفي . أما الصوفيون الحقيقيون ، وبعبارة أدق المتخصصون - فمن بين الذين يذكرهم ذوالنون المصري وابن آدم البساطي . وهذه الاسماء الثلاثة كثيراً ما يتردد ذكرها في المؤلفات الصوفية نظراً لما لها من قيمة ولما لعبت من أدوار في تاريخ التصوف الاسلامي . ويذكر الهجویری بعد هؤلاء عشرة من المتصوفة المعاصرين له أشهرهم القشيري . ثم فريقاً كان لا يزال حياً وقتئذ في الانحاء المختلفة لبلاد الفرس .

ويأتي بعد هذا كله فصل طويل عن احدى عشرة طائفة صوفية وقد جعل لكل طائفة مقالا خاصا تناول فيه ناحية معينة من مذهبها . ويرى السواد الأعظم أن الخلاف الذي شب بين هذه

الطوائف لم يكن ذا أهمية وأنه ليس الا وسيلة يستعان بها على تفسير المذاهب المختلفة ، فالطائفة الاولى مثلا تذكر الرضى من بين الاحوال بدلا من أن تجعله بين المقامات ، ويعقب المهجورى على هذا بمقال عن الرضى ، والطائفة الأخيرة نظيرنا على رأى المتصوفة فى مسألة فلسفية نفسية ذات خطر ، ذلك أنها كانت تؤمن بالتناسخ ، ومن هنا رأى مؤلف « كشف المحجوب » يذيل كلامه عن هذه الطائفة بمقال عن الروح ، وفوق هذا كله فإن المؤلف قد بسط مذهب المتصوفة فى صورة أخرى موضوعة فى احد عشر فصلا مثلها فى هذا العدد كمثل الفصول التى سقتها ، وأنه لجعل عنوان كل فصل من هذه الفصول هكذا : « كشف المحجوب الاول والثاني والثالث ... الى الحادى عشر » والمحجوبات هنا تقابل المسائل الجوهرية للدين الاسلامى (وحداية الله - الايمان - الوضوء - الصلاة ... الخ) فكل مسألة من تلك لما تفسر صوفى ، أو هى بعبارة أخرى تقابل فصلا من فصول التصوف ، وابتك لتلاحظ فى هذا القسم حرية التفسير والتأويل التى اصطلمها المتصوفة فى فهمهم للدين ، فأنت ترى مثلاً فى صفحة (٣٠١) من الترجمة الانجليزية التى وضعها الاستاذ نيكلسون وطبعها ونشرتها لجنة احياء ذكرى جب : « الصلاة عبارة عن تعبير يجد فيه المريدون الطريق الموصل لله من البداية الى النهاية ، وفيه تنكشف لهم المقامات ، والطهارة للبريدى هى التوبة ، وأنت حين تولى وجهك نحو القبلة معناه أنك تخضع نفسك للدبر الروحى ، وأنت حين تصلى واقفا معناه أنك تذل نفسك ، وتقابل تلاوة القرآن التأمل الباطنى ، واطراق الرأس هو التواضع ، والركوع والسجود هما معرفة الانسان لنفسه والتسليم هو الانفصال عن الدنيا ، ويحل محل الاعتراف بالايمان الانس بالله » وآية ذلك هى أن كل حركة عملية يمكن تأويلها تأويلا صوفيا وإن كل رياضة جسمية تقابلها عاطفة روحية .

٣- ولترك الآن كشف المحجوب لنقف وقفة قصيرة عند الكتاب الثانى الذى أريد أن أحدثك عنه وأعنى به « عوارف المعارف » ويمتاز هذا الكتاب بأنه أكثر تقسيما وأوفر تنظيمًا من سابقه ، ثم هو أقدر على اظهارنا على منشأ العلوم الصوفية والابانة عن آداب المتصوفة ومذاهبهم وأخبارهم وأقوالهم بحيث يمكن اعتباره كتابا تعليميا بكل معانى الكلمة ، وليس أدل على قيمة هذا الكتاب من أن ويلفرفورس كلارك قد ترجمه ، ومن أن بعض المستشرقين ينظر اليه كأنه تحفة أدبية لها قيمتها بين الاسفار العربية الكلاسيكية التى تسودها روح المطلق ويسيطر عليها أسلوب البحث والاستقصاء ، ومن أن البارون كارا دى فو قد تكلم عن

هذا الكتاب فى مؤلفه عن العزالى ثم أعاد الحديث عنه مرة أخرى فى كتابه « مفكرى الاسلام » ، فهذا كله بطهرى على ما للكتاب من خطر وما فيه من غناء .

أما مؤلف الكتاب فهو شهاب الدين السهروردى أحد أعقاب أبى بكر رضى الله عنه ، كان تلميذا لعمه أبى الحب وناصوفى المعروف عبد القادر الجلى ، وكان شيخا لمشايع بغداد ، ألف حوله عدد ضخم من المتصوفة والزهاد ، وله غير مؤلفه الذى نحن بصدده طائفة لامأس بها من الأشعار ، مات فى بغداد سنة ٦٣٢ هـ .

وأبو النجيب عم المؤلف الذى أشربا اليه أنفا صوفى أيضا ، أورد شهاب الدين ذكره كثيرا فى كتابه فهو يبدأ كل أبواب هذا الكتاب أو جليا بهذه العبارة : « حدثنا شيخنا شيخ الاسلام » يعنى عمه ، وقد كتب عنه ياقوت فى معجمه مقالا بديعا اعتبره فيه أذكر أسماء سهروردى ، سافر فى شبابه إلى بغداد حيث درس الشريعة والفقه ، ثم إلى أصفهان ، وكان يعمل كسقاء ولم يكن يعيش إلا من عرق جبينه ، وبعد أسفاره هذه عاد إلى بغداد حيث كان يلقى تلاميذه الذين درسوا عليه الشريعة وحيث تولى رئاسة النظامية ، ثم قصد بعد هذا إلى دمشق سنة ٥٥٨ هـ حيث أولاه نور الدين الزنجاني شرفا كبيرا ، وهناك أسس طائفة من الصوفية ، ويعقب ياقوت على كلامه عن أبى النجيب بقوله : أن ابن أخيه مؤلف عوارف المعارف كان من أبرز شخصيات عصره لما له من مواهب ، ولما كان عليه من صلاح وتقوى ، أجله الخليفة الناصر وخلع عليه لقب شيخ مشايخ بغداد ، ولهذا الخليفة ألف شهاب الدين السهروردى كتابه عوارف المعارف ، ويقول عنه ابن خلكان فى رقيات الأعيان أنه كان قريبا شافعي المذهب تخرج عليه خلق كثير من الصوفية فى المجاهدة والخلة وصحب عمه أبى النجيب والشيخ أبى محمد عبد القادر بن أبى صالح الجلى وله بسرورد فى أواخر رجب سنة ٥٣٩ هـ وتوفى فى المحرم سنة ٦٣٢ هـ .

هذه ترجمة موجزة لحياة مؤلف عوارف المعارف ، أما الكتاب نفسه فقد بلغ من الخصوبة والطول بحيث أنه وضع فى أكثر من ستين بابا ، ولا بد لنا من وقفات عند أهم هذه الأبواب التى بسط فيها المؤلف منشأ علوم الصوفية ، وآدابهم وأخلاقهم وإشاراتهم وأحوالهم ومقاماتهم ، فكل أولئك مسائل خليقة بالبحث ، جديرة بالدرس ، وهذا ما أرجو أن أعرض له منذ الفصل التالى بحيث أكون لديك صورة صادقة لهذا الكتاب تتمكنك من أن تعرف مكاتمة وتقدير قيمته وتبين ما له من خطر وما فيه من غناء .

محمد مصطفى حلى

ماجستير فى الآداب

الزينة

عند قدماء المصريين

أناقة الرجال - الري والحلاقة والحلي - زينة النساء - الثياب - الأصابع - العطور

للاستاذ حسن صبحي

« ثياب ثيابا من الكتان الناعم
وتركب الحيل وتحمل لها السوط الذهبي في يدك
لك سرج جديد شغلته أيدى الثنوم
وتجري أمامك العبيد يصدعون بما يؤمرون
يدهن جسمك كير معطرك بطيب الكيمى
وفك مليء بالنبيذ والخير...
... الخ »

« من نصيدة تحية الملوك من الشعر المصرى القديم »

يا لها من أناقة وفخامة ! ثياب من كتان ناعم اوسوط الركوب
مرشى بالذهب ! وسرج جديد من صنع أهل الشام ! وعبيد سياس
يجرون امام السيد الملم يفسحون له الطريق ويصدعون لما يأمرهم
به ! وعطور وطيب يدهن به جسمه !

وأية أناقة تعدل هذه الأناقة ! وأين هاتيك الأناقة الرائعة ،
والفخامة في الثياب وفي المركب وفي الخصاصة بما نحن عليه الآن ،
وبما نظنه منتهى ما وصلت اليه مدينة القرن العشرين بعد الميلاد !
لنا نحن الذين نصف أزياء المصريين فتهم بالتحيز لأجدادنا ،
بل هم المصريون أنفسهم يتحدثون عن أزيائهم في هذا الشعر القديم ،
ولا يتركون لتشكك فرصة ما في أن يظن بهم غير ما يصفون ،
فيخلفون في قبورهم الثياب الكتانية البيضاء الناعمة ، والحلي الذهبية
المطعمة بالجواهر والاحجار ، ويخلفون القفازات ، والصنادل الجلدية
الفاخرة ، ويخلفون السروج المزركشة بالذهب والفضة ، والسياط
المقوشة الموشاة بالذهب والفضة وكرائم الاحجار ، وآنية مرمرية
وأخرى رخامية تحوى عطوراً فيها السوائل وفيها الصلب وفيها
« ايمنها من معاجين ومقشطات ، ويخلفون غير هذا وذاك صوراً
على الجدران تمثلهم في هذه الثياب الرقيقة ، وهاتيك الحلي الثمينة ،
وتلك الأناقة الرشيفة ، وتململهم وهم يدهنون ، وهم يعطرون ، وهم
يزينون ! .. »

أفستطيع بعد هذا أن تكرر على القوم ما كان لهم من « نوايل » ؟
وتوايل ذي لو كس ايضاً ؟

أناقة الرجال :

نظر المصريون الى الرجل من نواحي الرجولة التي تعده كل
البعد عن المرأة ونواحي الأنوثة فيها ؛ فالرجل يحب أن تبدو منه
عضلاته دليلاً على القوة والبأس ، الم يخلق للعمل والحرب ؟ إذن :
فليترك صدره ليرز ماعليه من العورس (عضلات الصدر)
أمام الأعين ، دليلاً على قوة الرجل أو هزاله ، وليخل عن ذراعيه
من الثياب ليظهر ما فيها : بايسس وترابيس (عضلات النواحي فوق
الرسغ والكتف) فيميز الناس فيه القدرة والعجز ، ولتحلى تلك
الصدور البارزة القوية بالعقود والمدايلبات وتلك الاذرع والمعاصم
بأساور من ذهب أو ما يشبه الذهب ، كي تستلفت العين الى ما فيها
من شدة وبأس وكال في النمو ، هي ما يقتزن بلفظ « الجمال » في
الرجل ، وما يميز جمال الرجل عن جمال المرأة .

هذا الجمال في النمو وفي الشكل توجده الطبيعة في الأصل .
ولكنها تكل للرجل تعده والعناية به ، فهو لابد مستمر في القيام
على اظهره في أجمل صورة له ، وهل يتم له هذا الاظهار الا بمداومة
الطاقة والرياضة والعناية ؟ والنظافة لم تكن بعيدة المال على المصريين
فقد كان النيل دائماً الأب الرحيم ، يقتلون فيه ، وفي ترعه ، وفي
مياهه يجرونها في قنوات الى بيوتهم ، ونقرأ في قصصهم عن احواض
الاستحمام التي كانت تبني في القصور ، كما نقرأ عن ضرورة الاغتسال
قبل الصلاة ، وضرورتها لرفع الحدث الأكبر ، أى انها جعلت
ركناً من أركان دينهم ، كما ينص الاسلام على ضرورة الوضوء
والاغتسال قبل الصلاة وبعد الحدثين

واذا عرفت ان المصرى القديم لم يكن يأكل ولا يشرب ولا ينام
ولا يعمل الا بعد ان يؤدي صلاته لآله . وعرفت ان الدين كان في
دم المصرى القديم الى حد ان أقر الناس كان يبنى دار دنياه من
طين ، بينما يبنى لنفسه في حياته قبراً من أغلى الاحجار التي يستطيع
شراؤها ، ويسمى هذا القبر : (البيت الأبدى) بينما يدعو مسكبه
الديوى (بيت الاختبار) ! اذا عرفت هذا كله ادركت مبلغ تدخل
الدين في كل شيء ، ومكان الطاقة الشخصية من نفس كل مصرى
تبعاً لعقيدته .

الحلاقة

والنظافة عند المصرى القديم ليست الاغتسال بالماء فقط ، اذ
نرى من صورهم الكثيرة جداً ، انهم كانوا يقصون شعور رؤوسهم ،
ويقصرونها لتميز رؤوسهم عن رؤوس النساء ، ثم كانوا حلقى
الوجوه ، لا لى ولا شوارب ، ولم يكونوا يكتفون بقصها أو

قطعها ، ولكنهم كانوا يحلقونها بالأمواس لتكون وجوههم نظيفة خالية المسام ، يميزهم عن غيرهم من الشعوب التي كانت ترخي ذقونها وشواربها كشعب فلسطين وشعب ليبيا وغير هؤلاء بمن ظهرت صورهم على الآثار بلحي وشوارب سوداء طويلة .

وقد يعجب القارىء اذ يعلم ان المصريين عرفوا أمواس الحلاقة منذ خمسة آلاف عام ، لكنها حقيقة خلصوا آثارها لنا ، اذ يحوى المتحف المصرى طائفة كبيرة من هذه الأمواس مصنوعة صناعة متقنة من شطابا الجرانيت والارذواز والبازلت الصلبة التي تتحمل الترقيق والتشجيد ، وتقاوم استمرار استعمالها فى الحلاقة .
واذ تمر بالاغتسالوبالحلاقة بعد الزى ، وهى أوليات التواليت ، فالتا نصل الى أقصى مراتب التواليت ، وهى ماسبتة من قل « تواليت دى لو كس » .

التواليت العالى

لم يكن للرجل العادى نصيب فى التواليت العالى ، الذى لم يكن يعرفه غير أفراد الطبقة الممتازة . من الملوك والكهنة والوزراء والكتاب والأعيان .

هؤلاء كانوا يستمدون من ثروتهم وسلطانهم ما يستطيعون أن يقتنوا به العطور والأدهان يطلون بها أجسامهم كى تطيب رائحتها وينعم جلدها وتبرق بشرتها ، فيدوكل ما فيها من جمال الرجولة وأناقتها . وكانوا يلبسون فى أيديهم القفازات ، لا يتقون بها البرد ، وصدورهم وظهورهم عارية ، ولكن ليقبضوا بها على الأقواس ويشدون بها حين يطلقون منها السهام ، وبكمالون بها زيتهم وأماقتهم . ثم يضعون فى أقدامهم صنادل أنيقة من الجلد الموشى بالخيوط الذهبية ، مبالغة فى الأناقة والرفاهية .

هذه صورة حقيقية للرجل المصرى من الطبقة الممتازة :

رجل كامل النمو فى جميع أجزاء جسمه ، لا يترمه غير عورته ، برؤال قصير من الوسط الى الركبتين مصنوع من الكتان الأبيض المتى (بلبسه) ، يلبس فوق صدره عقودا وخرزا وفى معصيه أساور من ذهب ، حلق الوجه منسق شعر الرأس قصيره ، لا يضع على رأسه شيئا ، يلبس قفازا من الجلد وصندلا من الجلد ، ويمسك يده سوطا من الجلد موشى بالذهب يسوق به فرسا يمتطيه ، ونحو طه مظاهر الفخامة والأناقة والرجولة !

هل منكم من يعطينى صورة أكل لأناقة الرجولة من هذه

الصورة بعد مضى خمسة آلاف عام على هذه الأناقة وعلى هذا التواليت ؟ !

زبرجة النساء

لم تكن المرأة المصرية القديمة محجبة . ولم تكن للرجل مجرد متعة . اذ كانت تشاطره العمل فى الملك ، وفى السكينة ، وفى الحقل . وتقوم تنصيفها فى البيت أيضا . تربي أطفالها ، وتجهز بيتها ، وتطهى طعام أسرنا ، وتحبك ثياب زوجها وصغارها ونفسها وكل هذا يضعنا وضعا صحيحا أمام حالة المرأة المصرية كى نفهم على أى أساس كانت تقوم المرأة بعمل تواليتها فى مصر .

كانت المصرية (ربة بيت) فتوها يجب أن يكون طويلا يستر ذراعيها وصدرها وكعبها ، لكنه كان أنيقا ليجارى أناقة رجلها ، فهو اذن ثوب يجمع بين الخشمة والأناقة ، يستر انوثتها المغرية ، ويبرز انوثتها الطبيعية غير المثيرة . ثوب طويل ضيق ذو ثنيات (بلبسه) يكون فى معظم الأحوال أبيض ناصعا تتجلى فيه نظافتها وأماقتها ، يسدل عليه فى بعض الأحيان ثوب شبكى من خيوط ذهبية أو فضية ، ويتدل فوق هذا الثوب شعرها الأسود الفحشى الطويل ، مصفوقا منسقا فى صفائر ملتوية ، هى آية فى الإعجاز والأناقة اذا قيست بتنسيق الشعر فى العصر الحاضر .

ولم يكن السمن من سمات الجمال المصرى ، فقد حرص المصريون القدماء على تصوير نساءهن فى نحاقة ورشاقة كأمثلة ونماذج للجمال النسوى ، وامتدحوا نحافة السيقان فى اشعارهم وغزلهم ، اذ يقول الملك خوفو لكبير أمثاته حين أراد الزهة فى قارب :

« هيا احضر عشرين فتاة نحيفات السيقان والاذرع ، ناهدات الصدور ، لم يحلق مثلهن من قبل » (من قصة الملك خوفو والحررة : قصص البردى)

العطور

لم يكن نصيب هذا الجسم المستور الجمال ، من العناية والتواليت بأقل من نصيب جسم الرجل ، فالتا نقرأ فى النصوص : ان المرأة كانت تطللى جسمها بالعطور والأدهان لتصفله وتجعله برافا ناعما تحت ثيابها ، ونرى فى الصور فوق شعر المرأة قطعة من الدهن العطرى الأبيض ، ينحل دهنها فوق الشعر شيئا فشيئا كى يحفظ له طراوته ولعانه ، وفى وصف المرأة فى نصوص المصريين كثير يدل على طيب اريج ثيابها وجسمها

نحوه عن الطوائف والمداهب الفلسفية التي بها مطالعة الكتاب

لكتاب حي بن يقظان منام حيايا في تاريخ الفلسفة العربية . سجل لصاحبه شهرة واسعة في القرون الماضية لاسيما في ابد سفة الافرنج . ولا تزال يذكر الى الآن مؤلفه ابن الطييل كلما طالعا كتاب « روبنن كرورو » لدمو الاخوين ، وحيوان كما يغير حاجة في هذا العصر الى ما في هذه القصة من نظريات عقلية أو مداهب عملية ترتب عليها أعمالها في الحياة . لا يزال يحفظ مؤلفها فصل الاسبقية في مثل هذا الفن القصص السلس . ويريد أن يذكرها كلما اتينا على ذكر ديفو وبطل قصته روبنن كرورو . ولست أريد من ذلك أن قصته روبنن هي ككتاب حي بن يقظان قلباً وقالاً ولكن أريد أن أشير الى شبه في الفكرة ومجاسة في الفن القصص .

ولنتأمل بعد هذه الكلمة الى ما نحن بصدده من استخراج النظريات والمداهب الفلسفية من قصة حي بن يقظان لتبين قيمة هذا التراث الفلسفي الخيالي في أدبنا العربي

لازبد ان نقول - قل ان تأتي على تاحيص القصة - ان ابن الطفيل قد ضمنها زبدة التعاليم الفلسفية العربية ، والمداهب العملية وصاغها في قالب خيالي جذاب تشف من ورائه شخصية الفيلسوف الوداعة ، وفكرته الخاصة التي تنهك سراعاً للخير ، فكان بذلك سابقاً لديفو واضرا به من الافرنج القصصيين :

فأول ما باتفقت نظرك أيها القارىء الكريم من هذا الكتاب هو عنوانه الرمزى الغريب : حي بن يقظان . فن هو هذا « حي » ؟ وابن من ؟ ابن يقظان ... هذا الاسم رمزى في مدلوله وهو في عرفهم ابن من لا ينال أى الله عز وجل

وتفتح الكتاب فإذا هناك مقدمة وجيزة في نقد الفلاسفة الاسلاميين ، ونظرة سريعة في الحكمة الشرقية سيشرحها لك مفصلاً عند الحديث على بطله حي

كل الكتاب نظريات وثبت للمذاهب الفلسفية . فأول ما تفاجأ به أيها القارىء ، هي هذه النظرية ، نظرية التولد من غير أم وأب ، فدهشك هذا القول من فيلسوف إسلامي وينضبك خصوصاً اذا كنت من أصحاب الايمان الحار . ويأخذ بك ابن الطفيل في معرج هذا المذهب الوعر الذى يصعب علينا حله واتباعه ، ويستطرد في كيفية تخمر الطينة تحت اشعة الشمس وعلوق الروح بها ، فليذلك الاستطراد ولا يعجبك الاعتقاد ، والحق يقال ان هذا المذهب

لم يكن يياض البشرة في مصر القديمة يكثر جمالا . ذلك أن شمس مصر اللافحة تخرج ذلك اللون الخرى البديع ، الذى يجعل من بشره المصريين خلابة وظرفاً لا تصل اليه الدشرات الاوردية البيضاء الناصعة ، اذن فقد كانت النسوة المبيضات اللون تسعى الى الوصول لمثل الاسلى في جمال البشرة . فبعدن الى الحناء وهي من البياض المصري الاصيل فيصنع بها أحسامهن ووجوههن لتصبح لمن تلك البشرة الحساسة الخرى الطريفة .

وهذا ما يطابق تمام المطابقة العرض الذى استعملت فيه « الودرة » ، الاوردية . اليس منشأ الودرة هو الحصول على يياض يقترب من يياض المثل الأعلى للجمال الاوردى ؟

والأحر ؟ فم تحتاجه المرأة الخرى اللون ؟ المحمرة البشرة بطبيعتها ؟ ثم أى جمال تشاهده الآن في تلك الشفاه الحمراء في لون (الطاطم) بين خدود خمرية وشعر أسود في لون الفحم ؟ إنها تبعث في العين تافراً قل أن يرضى أحداً .

لذا لم يعرفه المصريون في زينتهم مع معرفتهم لونه ومسحوقه في تلوين الجدران البيضاء ، وفي التصوير على الفخار ، وفي الكتابة على البردى

لكنهم عرفوا (الكحل) ووضعوه في عيونهم ، وجعلوا منه الوانا متباينة بين الاسود الفحمر والأخضر القاتم ، والازرق الداكن . والعسل الفميق . وكلها لتطابق الوان الشعر والعيون والاعدا ب ، وتمشى مع تانسق ألوان هذه الاجزاء في الجسم .

• • •

واليك صورة حيلة للراة المصرية القديمة :

« امرأة رشيفة في ثوب رقيق ناعم من الكتان ذي ثنيات طويلة يستر كل جسمها ويدل على مواضع الخال الطيعى فيه ، ذات وجه خمرى ييسو فوق هذا الثوب الابنق بحماله الطيعى ، خفيفة حمرة الشفاه ، بضاء الاسان ، سوداء العينين مكحولتهما بكحل يطابق لونه لون حبة عنبها ، مرسله الشعر الاسود في صفائر على كتفها ، يتشراريجه وطيه وعطوره ، وتضع في قدمها صندلا رقيقاً يريدها رشاقة وأناقة . . .

هذه هي مثل الاناقة المصرية ، والتوايت المصرى منذ خمسة الاف عام . . . »

الطبيعي الذي يبنى مبدأ الخلق والتكوين على الصدق والتصادف والذي يصفه الكثيرون في عصرنا - وما أكثر المذاهب والآراء في هذا العصر - غير مني على أساس متين ولا يراهن جليلة بحيث تقلع من صدرك الايمان بصحته . فالمذاهب الفلسفية ، الاقوال فيها كثيرة ومختلفة ، وليس هناك دستور واحد في البحث تمشي عليه ، وحقيقة واحدة نعتق عليها . وفي المسألة الواحدة تعد قولين أو ثلاثة أو أربعة . والانسان عندما يكون متردداً في مسألة ما ، تكثر تعاليله وحده سيانه . فابن الطفيل مثلاً لا يحرم صحة هذا المبدأ الطبيعي كما هي عادته . فيأتيك بقول آخر أعم وأشهر ، ولكنه ليس نظرية بل تحليل ثانوي لكيفية وجود حي بن يقظان في جزيرة من جزائر الهند تحت خط الاستواء ، فقد اختلفوا في وجود هذا الشخص في هذه الجزيرة المقطعة عن السكان المقفرة من بني الانسان . فيقولون ان حياً كان ابياً غير شرعي وان أمه أخت ملك قد وضعت في صندوق وقذفت به في اليم ، فقاده المجرى المائي الى هذه الجزيرة ، الاستوائية ، وهذا القول اقرب واخف وطأة على القاري . من الاول ، اذ يعرف ان موسى أيضاً قد قذف به في اليم ، ولديه على ذلك نص وهو القرآن - قد فرغنا من استخراج هذه النظرية وسلطناها من طبقات هذا السفر الجميل . فاتبني أيها القاري الكريم لنستطاع بعد ذلك خبر ما آلت اليه حال هذا الطفل البائس الذي سيكون له فيما بعد شأن يذكر .

رمت به الأمواج الى شاطئ جزيرة تحت خط الاستواء ، ولم يكون جزعك على هذا الطفل عند ما تعلم ان هذه الجزيرة خالية من السكان . ترى من يغذي هذا الطفل ، ومن يشفق عليه ويشمله بحبانه ، اذ لا انسان يعطف عليه ويحسن رعايته ويوفر له أسباب الحياة ؛ ولكن كم يكون فرحك عظيماً عند ما ترى أن ظلية من بني الحيوان قد رنمت به ، ووجدت فيه تسليه وعوضاً عن ابنها المفقود ، فعدت تغذيه بلبنها وتشمله بحنانها ، حتى درج وأصبح قادراً على المشي والعدو مع أمه في البرية ، وما ان صار على رأس أسبوع من عمره أي سبع سنين ، حتى صار يرافق أمه في غزواتها ، ناشدها بأغانيها وتناشده ، فاذا سمع تغريدة عذليب حاول تقليده ، واذا سمع فحيح أفعى أو زئير أسد لم يحاول الابتعاد ولم يوجس خيفة ، وتكررت هذه الأصوات على سمعه فوعاها ، وغدا يرددها فيجيدها . وما أيها القاري الكريم تعرض لنا نظرية غامضة ولكنها جميلة ومشوقة ، فلتند في درسها وتحليلها قليلاً . النظرية هي نظرية النطق والكلام . أخلق الانسان متكلاً لغة أجاد فهمها منذ البدء أم علمه الله إياها ؟ واذا كان ذلك فلماذا لم تتفق البشر عليها ؟ وما تحليل كثرة اللغات واللهجات التي نسميها وما هو علة هذا الاختلاف ؟

كل ذلك - أظن - جدير باسترعاء خاطرِكَ وانتباهك ، وهو يوفق في نفسك حب الاطلاع والتعليل ، وتريد أن تفكر وأن تجد تحليلاً فلا تجد ، فيؤول بك التفكير الى حدس بحدس . وتخمين بتخمين لا طائل نخبهما ولا جدوى . فابن الطفيل لا يدعي لنا الا قولاً واحداً في كيفية نشوء اللغة عند الانسان وهو ليس من أرباب الوحي والالهام الذين يقولون ان الله أوحى الى الانسان أن يتكلم فتكلم ، وهو ليس من الذين يقولون ان الله خلق الكلام وخلق في الانسان المقدرة والقوة على نطقه . كلا ليس ابن الطفيل في شيء من هذا ، وهو على مذهب البعض من المحدثين في القرن التاسع عشر ؛ فهو لا يعلمون نشوء اللغة أي الطبق بأن الانسان في طوره الهمجى طور الغريزة الحيوانية يتلقى أصوات الحيوان ويقلدها في جرسها ونغمتها ، يضعون لذلك مقاطع طبيعية دارت على ألسنة البشر أجمع في طور وحشيتهم ، توجد في جميع اللغات الحية وهي إد ، آر ، آد . . . وما أشبه ذلك على أن الاختلاف الذي نراه ناتج عن سنن التباعد والتفارب في أخلاق البشر وأماهم الطبيعية .

فانت ترى ان ابن الطفيل . من هذا الرأي وان « حيا » قلد الحيوانات في أصواتها ولم يجد التكلم في بدء أمره بدليل ان ابن الطفيل يتبع لبطله حي مصادقة اسأل فعلبه الكلام وأمور الدين ، خيالة حي هي اذن نفس حياة البشر في طور وحشيتهم وهمجيتهم . ولكن ابن الطفيل لا يقف عند هذا الحد ، ولا يريد أن يسرح بطله مع الحيوانات بل يرقى به الى مستوى فكرى سام تقصر عنه المدارك ، ويريه أشياء لم تقع على سمع أحد ، ولا خطرت على قلب بشر ، فانه بعد أن يعلمه الأصوات يريد أن يعلمه الطب كما تعلمه كلية الطب في بيروت لتلاميذها ، وان يطلعه على علم التشريح وما فيه من سر دفين . وماتت الظبية أمه ، وقعد للبكاء عليها ولزم الحزن أياماً يناديه فلا تنى ولا تجيب ، ويندبها فلا تأبه لتحرقه وبكائه ، وأراد أن يعرف موطن الآفة في جسد أمه محاولاً انقاذاً بما هي فيه ، وبطريق النظر والاستدلال يفتح جوفها ويتوصل الى القلب المركز الرئيسي لجميع الأعضاء ، ومنه الى الدماغ فلم يجد بها آفة ، حتى اذا ما انتهى من البحث والاستقصاء اتى على علم التشريح بكامله ، ونحصل له من ذلك : ان ما يحرك الجسد انما هو بخار يتولد في التجويفات القلبية فيصعد منها الى الدماغ ، وهذا بدوره يحرك الأعضاء . وهذا ما قال به ديكارت معبراً عن هذا البخار بالارواح الحيوانية Esprits animaux .

قد يدهشك مثل هذا البحث المنظم الذي يقوده حي بن يقظان ، وهذا الاستدلال الثاقب ، ويضؤل في نفسك شخص ابن الطفيل

القصصى لجسم لك في شخص حي الطبيب الحاذق والمشرح اللق ؛ والحق يقال أن ابن الطفيل بعد أن يرتفع بخياله يَكْبُرُ به جواد هذا الخيال ليحطه الى الارض . لذلك كان الفيلسوف الطيب ، ولم يكن الفنان القصصى بالمعنى الواسع لهذه الكلمة . من العريب أن يكون حي قد استكشف مثل هذه النظريات والتطبيقات العملية في مثل هذه المدة الوجيزة ، فأتنا نرى فكراً سامياً يتوصل محض بمكره الى احببته ، لا فكراً وشياً حريزاً يليق به : والى هي قصة أقرب الى : الاوريبيا ، منها الى الحقيقة المدوسة . ولا نجزم بأنها بشرية . ولا يريد أن يناقشها بل يترك ابن الطفيل وتلميذه يبله ما يشاء وكيف يشاء ، على أن يستشف من خلال البحث عن كيفية تعلم حي من يقطن على بطرية الشو والارنقاء في العاصر الطبيعية ومدارك البشر ، وكيف أنها تنتقل من الملموس الى المحسوس الى المعقول . وكيف أن الحواس تتصل بالاشياء الخارجية وتؤثر هذه فيها وتنفذ عنها فتحوّلها (أى الحواس) الى دائرة التفكير والفهم فتصوغ ما أحتت بقالب السبب والقانون .

ويصدق حي أمه ويخرج الى معتك الحياة وجداً طريداً . فكل شيء في فطر وجوده يستلقت نظره ويستوعب انماه . فهو كآلة واعية — اذا كانت آلة تعي — وصمت في مكان ما تلفظ كل ما اوحى لها من حيث القى أو أوحى . فتحل حركات الاشياء وتتفعل عنها ، وهل الانسان — كما عرفه بعض علماء النفس — الا مجموعة من المؤثرات الداخلية والخارجية تجمعت فشكلت هذه النفس التي تعي وهذه النفس التي تفهم وتذكر ؟

ويستكشف «حي» النظريات ويستبدل بمفكره السامى وثاق ذمه على وجود « واجب الوجود » وهذه النظرية هي محور النص بكاملها وهي التي شغلت جميع فلاسفة الاسلام . ويستكشف «حي» مبدأين : المادة والصورة ، بواسطة ما يتوصل الى اكتشاف وجود الله ، فاعتبر : « أن كل حادث لابد له من محدث » فلمس هذا المحدث في المحسوسات فلم يعتز عليه ، وانتقلت فكرته الى الأجرام السماوية ورسح في ذهنه أنها تعقل ذواتها ، وأنها صادرة عن فلك واحد وهو الاعلى . وهنا يجب علينا أن نفهم قليلاً ونشير الى هذه النظرية التي كانت شائعة عند اليونان والتي اقتبسها العرب ولا سيما ابن سينا ، ووسعوا دائرتها . فاهم اعتقدوا أن الاجرام السماوية تعقل وتحيا وفيها العقل الفعال الصادر عن الله عز وجل ، وأن الله يعلم ما في الكون بواسطة ما هي أشرف الموجودات . وقد ينادونها أنصاف آلهة . وتتجاوز عن تنفيذ هذه النظرية الخرافية التي تعد الى جنب المباحث الفلكية العصرية - خرافة من خرافات القدماء .

ولما عرف «حي» حقيقة نفسه ونها غير أجسامية وبها عرف « الموجود الواجب الوجود » حدث له شوق حثيث الى معرفة الخالق عساه يراه . فذبح في تعذيب الأعمال التي تقربه إلى الله عز وجل ، فوجد أن الطيف الخالي هي في ترك المادة وثقيل الروح التي هي مدأ روحاني صادر عن الله تعالى . ، لما كان يعلم أن الاحرام السماوية تعرف الله ، التمس لنفسه الصلاح بالأمر بها ليتوصل اليه ، وهذا يعتق حي مذهب الاتصال وترويض النفس والعرف عن الاشياء المادية كما كان يعمل متصوره المشرق . الا أن هناك فرقاً كبيراً بين المذهبين . نعم أن نشته اليه أيها القاري . ألا وهو : أن المتصورين يصلون الى الله عز وجل عن طريق العاطفة الدينية والعلم الالهي . أما حي المتصور البشري فيتصل بالله عز وجل عن طريق الحس والبطر . ويحاول تماماً طريق الصوفية الدينية . وعلى هذا المذهب مذهب الصوف اندرى سار فلاسفة الاندلس فولدوا بذلك رعة جديدة ضد الصوف الديني الشرقي . على أن ابن الطفيل إن احلف مذهباً لم يخلف عنهم نتيجة بل أدنى به هذا المذهب الى القول بالحق والخلو . ولكنه حلول معتدل معني يستار الفضة الخيالي فانه عند ما يفتي حي في الذات الالهية ويوشك أن يعتقد أن ذاته لا تغاير ذات الله . وأنه مع الله . يدار ابن الطفيل ليدد هذا الاعتقاد ، ويقول على لسان بطله «حي» . أن هذه الحواس التي عرست له وأفعته أنه ذات الحق ، لم تكن إلا من بقايا المادة والاشياء الدنيوية وهذه النظرية هي ما يدعوها بطرية الشمول الطري Sdealisme panthéistique . ولا نريد أن نبحث في مثل هذه النظريات الالهية بل نترك الخوض فيها إلى أولياء الله العارفين ، تعالى الله عما يصحون . فاس النفس اذا اتصل الوصول الى الله عن طريق البحث العلمي الطري ، ويمثل لنا هذه النظرية ويدافع عنها في شخص «حي» وانه استطاع نظره وفكره السامى اكتشاف الحق تعالى ، بدليل أن ابن الطفيل يدخل في القصة شخصاً آخر «أسال» وهو العقل المهدي الى الله عن طريق الدين والاحتماد . فيحمره عن الوصول الى المقام الذي توصل اليه حي « وطلب حي . مقامه الجليل فبلغه واقتدى به اسال حتى اقترب منه أو كاد » فلا ريب عند ذلك في أن فيلسوف الاندلس يفصل الطريق الطرية على الطريق الدينية ؛ وأنه ما استطاع ان ينجو من ورطة هذا القول الذي كثيرا ما جر على آخرين التعذيب والكيل ، الا بواسطة هذا الوشاح القصصى الذي يلقه على النظريات والمذاهب الفلسفية في رسالته النفيسة .

على أن ابن الطفيل لم يخل من اللوم ، وأرباب الدين يؤاخذونه على أربعة ١ - باهماله أمر العمدة وسقوط الطبيعة البشرية ٢ - بتفضيله

٥ - بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام

للاستاذ محمد عبد الله عنان

وكان الجيش الاسلامي في حال تدعو الى القلق والتوجس ، فان الشقاق كان يضطرم بين قبائل العرب التي يتألف منها معظم الجيش ، وكانت تنوq الى الانسحاب ناجية بغنائمها الكبيرة . وكان المسلمون في الواقع قد استصفوا ثروات فرنسا الجوية أثناء سيرهم المطمر ونهبوا جميع كنائسها وأديارها الغنية . وأثقلوا بما لا يقدر ولا يحصى من الذخائر والغنائم والسبي فكانت هذه الاثقال النجيسة تحدث الخلل في صفوفهم وتثير بينهم ضروب الخلاف . وقدر عبد الرحمن خطر هذه الغنائم على نظام الجيش واهبه وخشى مما تثيره في نفوس الجند من الحرص والاشغال وحاول عبثا ان يحملهم على ترك شيء منها ؛ ولكنه لم يشدد في ذلك خيفة الترد . وكان المسلمون من جهة أخرى قد أنهكتهم غزوات أشهر متواصلة منذ دخلوا فرنسا ، ونقص عددهم بسبب تخلف حاميات عديدة منهم في كثير من القواعد والمدن المفتوحة . ولكن

المعرفة بالعقل على المعرفة بالآيمان . ٣ - باعتقاده ان الانسان قادر على رؤية الله عز وجل في الدنيا . ٤ - بأقواله المنتجة مذهب تأليه الكل أو الباتيسم الشمولي . وما كان أحد ليخلو من عتب أهل الدين ولومهم . ومدار القصة بكاملها هي أن معرفة الله الفلسفية أسمى من المعرفة الدينية ، وهذا ما لاقى في سبيله ابن رشد واضرا به من التعذيب والاضطهاد ما لاقى

هذه لمحة - ربما تكون سطحية في قصة حي بن يقظان - عن النظريات والمذاهب الفلسفية التي تضمنتها ، وربما عدنا الى الموضوع في بحث آخر تفصل فيه العناصر الاجبية في فلسفة ابن الطبل وتعاليمه . ونختم الآن هذا الفصل في أن: فيلسوف الاندلس قد أجاد كل الاجادة في سبك قصته العلفية وأسلوبه فيها جميل سهل وجذاب يقرب إلى ذهن القارئ . الاقوال الفلسفية ، ومع أن إنشاء ما سهل وبسيط وائق لم نخل أحيانا من التعقيد والغموض . ونتيجة القول أن هذا الكتيب النفيس مشحون بالتعاليم العلفية الاسلامية ترفرف عليه روح الافلاطونية الحديثة . ومن يطالع على هذه القصة يوافق الافرنج على حكمهم : « انها آية من آيات القصص العربية الحكيمة ومختصر فلسفة العرب . » ١٤ هـ

احمد المحمود

طرطوس سوريا

١٠٤٠

عبد الرحمن تأهب لقتال العدو وخوض المعركة الحاسمة بدم وثقة وبدأ القتال في اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر من أكتوبر سنة ٧٣٢ م (أو آخر شعبان سنة ١١٤ هـ) فنشبت بين الجيشين معارك جزئية مدى سعة أيام أو ثمانية احتفظ فيها كل بمرأ كره . وفي اليوم التاسع نشبت بينهما معركة عامة فاقتتلا بشدة وتعادل حتى دخول الليل واستأنفا القتال في اليوم التالي ، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد حتى بدا الاعاء . على الفرنج ولاح النصر في جانب المسلمين . ولكن حدث عده أن افتتح الفرنج ثغرة الى معسكر العائيم الاسلامي . وحشي عليه من السقوط في أيديهم ، أو حدث كما تقول الرواية أن ارتفعت صيحة مجهول في المراكر الاسلامية بأن معسكر العائيم يكاد يقع في يد العدو . فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة الى ما وراء الصفوف لحماية العائيم . وتوانب كثير من الجند للدفاع عن غنائمهم . فذب الخلل الى صفوف المسلمين . وعثا حاول عبد الرحمن أن يعيد النظام وان يهدي روح الجند ، ويبا يشغل أمام الصفوف بقودها ويجمع شتاتها ، اذ أصابه من جانب الاعاء سهم أودى بحياته ، فقط قتيلا من فوق جواده ، وعم الدع والاضطراب في الجيش الاسلامي ، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وكثر القتل في صفوفهم ، ولكنهم صمدوا للعدو حتى جن الليل ، وافترق الجيشان دون فصل . وكان ذلك في اليوم الحادي والعشرين من أكتوبر سنة ٧٣٢ م (أوائل رمضان سنة ١١٤ هـ) (١)

وها اضطرم الجدل والنزاع بين قادة الجيش الاسلامي ، واختلف الرأي وهاجت الخواطر وسرى التوجس والفرع . ورأى الزعماء أن كل أمل في النصر قد غاض فقرروا الانسحاب على الأثر . وفي الحال غادر المسلمون مراكرهم وارتدوا في جوف الليل ، وتحت جنح الظلام جنوبا ، صوب قواعدهم في سبتانيا ، تاركين أنفاهم ومعظم اسلحتهم غنا للعدو . وفي فجر الغد لاحظ كارل وحليفه أودو سكون المعسكرات العربية ففدما منها بمنخر واحجام قافياها خاوية خالية الا من بعض الجرحى الذين لم يستطيعوا مرافقة الجيش المنحسب ، فذبخوا على الأثر . وخشى كارل الخديعة والكمين فاكتفى بالانسحاب العدو ولم يحرز على مطاردته وآثر الترد بحيشه الى الشمال .

(١) نجتمع معظم الروايات المرجحة والكسبة على أن المعركة كانت في أكتوبر سنة ٧٣٢ م . وهذا التاريخ يوافق الهجرة شماسة ١١٤ هـ . بيد أن الرواية الاسلامية تختلف في تحديد هذا التاريخ . فالحض يقول انها كانت سنة ١١٥ هـ (ان عبد الحكم ص ٢١٧ - الضي في بنة المتوس رقم ١٠٢١ - ساب غزاري ج ١ ص ٢٧) ولكن يعود يذكر ان الموقعة كانت سنة ١١٤ هـ - ج ٢ ص ٢٨ - . ولكن ابن الأثير (٥ ص ٦٤) وابن خلدون (٤ ص ١١٩) والمقرئ عباس حيان (ج ١ ص ١٠٩) وج ١ ص ٥٦) متفقون على انها كانت سنة ١١٤ هـ - ويقول الاخيران أنها كانت في رمضان سنة ١١٤ هـ . وهو أصح تعيين يتفق مع الرواية القرية

هذه هي أدق صورة لحوادث تلك الموقعة الشهيرة طبقاً لمختلف الروايات. والآن نورد ما تقول الرواية الفرنجية الكنسية ثم الرواية الإسلامية.

أما الرواية الفرنجية الكنسية فيشوبها كثير من المبالغة والتخامل والتعصب، وهي تصف مصائب فرنسا والصراية من جراء غزوة العرب في صور مثيرة بحزنة، وتفصل حوادث هذه الغزوة فتقول احداً: « لما رأى الدوق أودو أن الأمير شارل (كارل) قد هزمه وأدله وأنه لا يستطيع الانتقام إذا لم يتلق الجدة من إحدى التواحي، تحالف مع عرب أسبانيا ودعاهم إلى غزوه ضد الأمير شارل وضد الصراية، وعندئذ خرج العرب وملكهم عبدالرحمن من أسبانيا مع جميع نسايتهم وأولادهم وعددهم وأقواتهم في جوع لا تحصى ولا تقدر، وحملوا كل ما استطاعوا من الأسلحة والذخائر كأنما عولوا على البقاء في أرض فرنسا. ثم اخترقوا مقاطعة جيروند واقتحموا مدينة بوردو وقتلوا الناس في الكنائس وخربوا كل البسائط وساروا حتى بواتيو... (١)

وتقول أخرى: « ولما رأى عبد الرحمن أن السهل قد غصت بجموعه اقتحم الجبال ووطئ السهل بسيفها ووعرها، وتوغل مشخاً في بلاد الفرنج ومحق بسيفه كل شيء، حتى أن أودو حينما تقدم لقتاله على نهر الجارون وفر منهزماً أمامه لم يكن يعرف عدد القتلى سوى الله وحده. ثم طارد عبد الرحمن الكونت أودو، وحينما حاول أن ينهب كنيسة نور المقدسة ويحرقها التقى بكارل أمير فرنج أوستراسيا وهو رجل حرب منذ فتوته، وكان أودو قد بادر باخطاره وهنالك قضى الفريقان أسبوعاً في التأهب واصطفوا أخيراً للقتال ثم وقعت أمم الشمال كسور منيع ومنطقة من الثلج لا تحترق وانحنت في العرب بحمد السيف »

« ولما ان استطاع أهل أوستراسيا (الفرنج) بقوة أطرافهم الضخمة، وبأيديهم الحديدية التي ترسل من الصدر تواء ضرباتها القوية أن يجهزوا على جوع كبيرة من العدو، التقوا أخيراً بالملك (عبد الرحمن) وقضوا على حياته. ثم دخل الليل ففصل الجيشان والفرنج يلوحون بسيوفهم عالية احتقاراً للعدو. فلما استيقظوا في فجر الغد ورأوا خيام العرب الكثيرة كلها مصفوفة أمامهم تأهبوا للقتال معتقدين أن جوع العدو جائئة فيها ولكنهم حينما أرسلوا طلائعهم ألحوا جوع المسلمين قد فرت صامته تحت جنح الليل مولية شطر بلادها. على أنهم خشوا أن يكون هذا

(١) هذه هي رواية القديس دني saint Denis — وردت في موسوعة بوكيه Dom Boquet: Recueil des Historiens de Gaule et de la France — III—310 وردت في هذه الموسوعة أيضاً أقوال أخرى من لرواة الاجبار

الفرار خديعة يعقبها كمين من جهات أخرى فاحاطوا بالمعسكر حدين دهشين. ولكن الغزاة قد فروا. وبعد أن اقتسم الفرنج الغنائم والأسرى فيما بينهم بظام عادوا مقتطعين إلى ديارهم (١) « وأما الرواية الإسلامية فهي صينة في هذا الموطن كل الضن كما أسلفنا ويمر معظم المؤرخين المسلمين على تلك الحوادث بالصمت أو الإشارة الموجزة كما سئى غير أن المؤرخ الأسباني كوندى يقدم إليها خلاصة من أقوال الرواية الاندلسية المسجلة (٢) عن غزو فرنسا وعن موقعة نور نقاباً مترجمة فيها إلى: — (يتبع)

(١) هذه هي رواية ليزيدور الحاجي وهو ماصر للموقعة — راجع: Creasy: Charles the Great: ibidch VII-Holgkin وكذلك Gibbon: ch.III, Ch LII فيها تمثل هذه التفاصيل والمص

(٢) لم نقف في أي المصادر العربية التي بين أيدينا على أصل هذه الأقوال التي يقول كوندى أنه اقتبسها من الرواية العربية ولم يذكر هو مصدر اقتباسه. ومن المحقق أنه قلها عن بعض مخطوطات الاسكوريال أو الجمعيات الخاصة التي لم تتداول حتى عصرنا. ولعله نقلها على الأغلب من كتاب جذوة النفس للحميدى حيث يقول في مقدمته أنه انتفع في عصر الفتح والوفاء الأوائل. ولعله أيضاً نقل شيئاً منها من شذو لابن حيان وابن شكرو البربرج لنا أن المجاز في كتابه المسهب قد تناول هذه الحوادث بالتفصيل حيث نقل المقرئ عن شذرة قيد ذلك (نسخ ١ ص ١٢٩) ولعل كوندى وقف على شيء منها. غير أن هذه المصادر جميعها لا توجد للأسف بين أيدينا وليست بين محتويات دار الكتب المصرية وما تزال مخطوطة في ظلمات الاسكوريال وغيره من المكتبات الأوروبية. وقد نتاح لنا يوم أن ظهر بالاطلاع عليها والاتماع بهاراجع حديث كوندى عن مصادره في مقدمته الترجمة الانكليزية (ج ١ ص ٢٢)

الصحة والقوة وجسم عجيب وعقل بھني للنجاح

التمانة. السنة. تصالفة العادة السرية. الوعدوم
الضعف لسائل. الإنسان. ضعف المعدة. القلب. الصبر
الضعف. تفكير. تدريس. العقل. ضعف الذاكرة والذاكرة
قد التقى في نفس ولكن لا فرق الزنة والغير الجمانية والعقلية
يمكن عدمه في المنزل عدمه سرياً أكنه بتمينات خاصة.
كشيء شرح سنة

كتاب الجسم الكامل وكتاب العقل الكامل
١٠٠ صفحة بمائة نقطة ١٠ مليارات طرايع برسته للبربر
(قبره مجاويذ في الخارج) غيخ كتاب الذي يطلبه وكتاب باسم

محمد فائق الجوهري

مدير معهد التربية البدنية والعقلية
١١ شارع سنجر السروي قاروف مصر
تليفون ٥٠٣٥٩٥

في الأدب العربي

عكاظ والمربد

للأستاذ أحمد أمين

تممة

وكان لكل شاعر من شعراء المربد حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس يسمعون منه ؛ جاء في الاغانى ، وكان لراعى الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة ، (١) وكان الناس يخرجون كل يوم الى المربد ، يعرف كل فريق مكانه فيجلس فيه ينتظر شاعره ، فقد روى الاغانى أيضا أن جريرا بات يشرب باطية من نبيذ ويهمهم بالشعر في مجاء الفرزدق والراعى ، فزال كذلك حتى كان السحر وقد قالها ثمانين بيتا في بني نعيم فلما ختمها بقوله :

ففض الطرف انك من نعيم فلا كبا بلغت ولا كلابا
كبر ثم أصبح حتى اذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم
بالمربد - وكان يعرف مجلسه ومجالس الفرزدق دعا فادهن ولف
رأسه ودعا غلامه فأسرج له حصانا وقصد مجلسهم وأنشدها
فنكس الفرزدق وراعى الابل (٢)

ونرى بجانب هؤلاء الفحول أعنى جريرا والفرزدق والأخطل طائفة أخرى من كبار الرجاز يقصدون المربد وينشدون رجزهم ، فالهجاج الرجاز يخرج الى المربد عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها ويقف بالمربد على الناس مجتمعين ، ويقول رجزه المشهور :

« قد جبر الدين الآله فجر »

ويجوز ربيعة فيأتى رجل من بكر بن وائل الى أبى النجم ويستخذه على الرد عليه فيخرج أبو النجم الى المربد ويقول رجزه ، « تذكر القاب وجهلا ماذكر »

ورؤية الرجاز ينشد رجزه :

« وقائم الأعماق خاوى المخرق »

ويجتمع حوله فبيان من تميم فيرد عليه أبو النجم في رجزه .

« اذا اصطبحت أربعا عرفتني » (٣)

كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته ماتادينار ؛ وينشد ودموعه تجري على لحية : « ما بال عينك منها الماء ينكب » (٤)

وينشد كذلك بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقدا شديدا ويسخف بعض تشبهاته ، فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب الى المربد حتى يموت الخياط (٥) .

والامراء والولاة قد يتدخلون فيسكتون بعض الشعراء ، وقد يهيجون بعضهم على بعض خدمة لاغراض حزبية او سياسية فعبد الملك ابن مروان يأمر أبا النجم بالمفاخرة مع الفرزدق . وعباد بن حصين - وكار على أحداث البصرة - يعين جريرا على الفرزدق ويعير جريرا الدرع والفرس والسلاح (٦)

وهكذا كان المربد في العهد الأموى معهدا كبيرا أنتج أدبا غزيرا من جنس خاص ، وكاد هذا الشعر يكون امتدادا للشعر الجاهلى ، لاتحاد الاسباب والبواعث ، فأما الشعر الغزلى كشعر عمر بن أبى ربيعة وأمثلة فليس له كبير أثر في المربد لانه فوق الزال والمهاجاة والمفاخرة ، فليس مجاله حياة المربد التى وصفناها .

المربد في العصر العباسى :

بقى المربد في العصر العباسى ، ولكنه كان يؤدي غرضا آخر غير الذى كان يؤديه في العهد الأموى ، ذلك أن العصية القليلة ضعفت في العصر العباسى بهاجمة الفرس للعرب ، وأحسن العرب بما هم فيه جميعا من خطر من حيث هم أمة لا فرق بين عدائهم وقحطانهم ، فقوى نفوذ الفرس وغلبوا العرب على أمرهم . وبدأ الناس فى المدن كالصرة يحبون حياة اجتماعية هى أقرب الى حياة الفرس من حياة العرب ؛ وانصرف الخلفاء والامراء عن مثل النزاع الذى كان يتنازعه جرير والفرزدق والأخطل وظهرت العلوم

١٠. اغانى ٩ ص ٧٨ وما بعدها . ١١. اغانى ١٦ - ١٣

١٢. اغانى ١٦ - ١٣ ١٣. اغانى ١٦ - ١٣

١٤. اغانى ١٦ - ١٣

١٥. اغانى ١٦ - ١٣

نزاحم الأدب والشعر؛ وفشا الاحن بين الموالي الذين دخلوا في الاسلام؛ وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم؛ فتحول المريد يؤدي غرضاً يتفق وهذه الحياة الجديدة

أصبح المريد غرضاً يقصده الشعراء لاليتهاجوا؛ ولكن يأخذوا عن أعراب المريد الملكة الشعرية، يحتذونهم ويديرون على منوالهم؛ فيخرج الى المريد بشار وأبو نواس وأمثالهما، ويخرج الى المريد اللغويون يأخذون اللغة عن أهله ويديرون ما يسمعون، روى القائل في الامالي عن الأصمعي، قال: «جئت الى أبي عمرو بن العلاء فقال لي من أين أقبلت يا أصمعي؟ قال جئت من المريد؛ قال هات ما معك، فقرأت عليه ما كتبت في الواحي، فرت به ستة أحرف لم يعرفها، فخرج يعدو في الدرجة وقال: - شمرت في الغريب - أي غلبتني» (١).

والنحويون يخرجون الى المريد يستمعون من أهله ما يصحح قواعدهم ويؤيد مذاهبهم، فقد اشتد الخلف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة في النحو وتعصب كل لمذهبه؛ وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المريد؛ وفي تراجم الحياة نجد كثيراً منهم من كان يذهب الى المريد يأخذ عن أهله، ويخرج الأديباء الى المريد يأخذون الأدب من جل بليغة وشعر بليغ وأمثال وحكم، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آباؤهم؛ كما فعل الجاحظ؛ يقول ياقوت: ان الجاحظ أخذ النحو عن الأصمعي وأخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمريد (٢).

وبذلك كان المريد مدرسة من نوع آخر تغير بناجها في العصر العباسي عن برناجها في العهد الأموي وأدت رسالة في هذا العصر تخالف رسائلها في العصر السابق

آخر الأخبار عن المريد:

في ثورة الزنج التي ظهرت في فترات البصرة والتي بدأت سنة ٢٥٥ هـ حدث قتال بالمريد بين الزنج وجيش الخليفة، فاحترق المريد؛ وروى الطبري قال: يقول ابن سميان: فاني جومئذ لفي المسجد الجامع اذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه: زهران والمريد وبنى حمان في وقت واحد، كأن موقديها كانوا على ميعاد، وجل الخطب وأيقن أهل البصرة بالهلاك (٣).

١٩٠ الامال ٣ ص ١٨٢
٢٠٠ معجم الادباء ٦ ص ٥٦
٢١٠ الطبري ٣ ص ٢٥٧ وما بعدها طبعه أوروبا

التي على أنه لم يقل شيئاً في حريق المريد؛ مع ان المريد من أجل شوارعها، وسوقه من أجل أسواقها، فقال ارتجالاً في آخر حريق لها: أنتم شهود الهوى تشهد فاستطيعون أن تجحدوا فيامريدون فاشهدتكم على أنني منكم مجهد جرى نفسي مساعداً نعوكم فمن أجله احترق المريد وماحت رباح حبيبي لكم ومشت به باركم توقد ولولا دموعي حرت لم يكن حريقكم أبدأ جسد (٤) ويدكر اس الاثير في حوادث سنة ٢٩٩ هـ أن سيف الدولة صدقة بن مريد تقاتل مع اسماعيل هبت البصرة وعم من معه من عرب البر... ولم يعلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمريد، فان الباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتمروا بها وحوا المريد وعمت المصيبة بأهل البلد سوى من ذكرنا (٥).

ويقول ياقوت «إن المريد كان سوقاً للابل، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وهو الآن: (عاش ياقوت حتى سنة ٢٢٦ هـ) - بائن عن البصرة؛ بينهما نحو ثلاثة أميال، وكان ما بين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب، فصار المريد كالبلدة المعزلة في وسط البرية».

ثم عفا أثر المريد، ولم نجد نجد له ذكراً ذا قيمة، وأخني عليه الذي أخني على عكاظ؛ ومات بموته معاهدان أديان اتصلت حياة الثاني منهما بحياة الاول فقاما نحو ستة قرون يخرجان شعراً وأدباً وتقداً كان من خير تراث العرب؟

١٤٠ معجم البلدان

٥٥٠ الكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ١٥١ طبع بولاق

الْبُورَةُ الْعَرَبِيَّةُ

خَلَامَةُ نَارِجِيَّانَ كَانَتْ مِنْ الْهَيْئَةِ الْقَوْمِيَّةِ الْبُسْرِيَّةِ
يَقُولُ الْفَخْرِيُّ أَبُو السَّيُودِ فِي تَرْجُمَتِهِ
كُنْتُ بِحَبِّ أَنْ يَقْرَأَهُ كُلُّ مَصْرِيٍّ
لَيْسَ مَثْوًى كَانَتْهُ لِبُخَيْرِي تَحَارُثُ تَارِجِيَّانَ الْبُسْرِيَّةِ الْبُسْرِيَّةِ
الْمَنْ هُوَ بِطَلَبِ الْمَكْتَابِ الْكَبِيرَةِ بِالْقَاهِرَةِ
وَمِنْ الْمَكْتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِإِسْنَيْنَ بِالْأَسْكَنْدَرِيَّةِ
وَمِنْ مَكْتَبَةِ عَلِيِّ مُحَمَّدٍ بِالسَّكَنِ الْبَغْدَادِيَّةِ

مِنْ طَرَائِفِ الشَّعْرِ

ذَقْتُهُ مَرَّتَيْنِ

للأسناد بشارة الخوري

فقد توتى مُنْضَباً ولم يُبْصَد تضرعي
وعندما أمسكته من ثوبه صاح : دع
لكنى عند انقاس من مامي المُفزع
وحدثه بحاي مستغنياً من حزعي
يسألني في رقة من حلمي وأدمعي
كرمة اس هاني حسن شوقي

ليل المعذب

هذا عبابُ الظلام واني يسحب فوق الثرى حُضاهُ
أعشى عيون الوري عماء وأفرغت في الكرى رؤاهُ
ليلٌ كلون الغراب داج ^{....} غفلٌ أغم اكنى وقارا
كانما النور في حشاهُ عن مستهل الصديق جارا (١)
تَحْسِبُهُ لَجَّةً غَضُوباً كلُّ سَبُوحٍ بها غريقُ
أو مهمماً موحشاً مُربِياً عثاره الدهر لا تقيقُ
يزفر وجداً به المعنى ^{....} فيستحيل الاسى دموعاً
ويستحيل العذابُ جمرأً والقلبُ في كهفه صدوعاً
(سورية) حمص رفيق فاخوري

حياة ثانية

أى نور ألقى على غرامي فاشترتُ الآمال بالآلام
كان ذا الجسمُ عُصْبَةً من جراح تنزى في هيكَل من سحَاب
كان ذا القلبُ شِعْلةً من عذاب وشجون ولوعة وضرام
كان ذا الطرف منهل سراً مديناً يغمر الروح بالدموع الدوام
كنتُ والله في شبابي شيخاً لاح للناس في مسُوح غلام
^{....}

كان ذا الشعرُ غنوة اليأس في القلْب ب وناياً أننى به أحلامي
كان عمرى كأنه حلْمٌ لى لى على عَالَم الدُجَى المترامي

١٠٠ الصديق : الشعر

أتت هند تشكو إلى أمها وسحان من جمع السرى
فقلت لها : إن هذا الضحى اتانى وقلى فقلتى
وفرّ فلما رآنى الدجى حانى من شعره خصلتين
وما خاف يا أم بل ضمنى وألقى على مبسمى بجمتين
وذوّب من لونه سائلاً وكحلنى مه في المقلتين
وجئت الى الروض عند الصباح لأحجب نَفْسِي عن كل عين
فنادانى الروضُ يا روضتى وهم لي فعل كالأولين
فجأت وجهى ولكنه الى الصدر يا أم مد اليدين
ويادهشنى حين فتحت عيني وشاهدت في الصدر مائتين
وما زال في الغصن حتى انحنى على قدمى ساجداً سجدتين
وكان على رأسه وردتان فقدم لى تينك الوردتين
وخفت من الغصن اذ تمت بأذنى أوراقه كلمتين
فرحت إلى البحر للابتعاد فحملى وبجه موجتين
فما سرت إلا وقد ثارتا بردفى كالبحر رجراجتين
هو البحر يا أم كم من قى غريق وكم من قى بين بين
فها أنا أشكو اليك الجميع فبالله يا أم ماذا ترى
فقلت ، وقد ضحكت أمها وماست من العُجب في بُردتين
عرقهم واحداً واحداً وذقتُ الذى ذقته مرتين

حلم

رأيتُ أمرَ حلماً روعنى في مضجعى
رأيتنى مع الحيد ب في عتاب موجه
آلمتُ من غيرتى ظلماً بلا تورع
ثم طلبتُ صفحه لكنه لم يسمع

كنت لا أعرف التيسم حتى عودتني إلى ابتذال ابتسامي
شفتاي الحريندان وفاتي وعيوني مذبذبة لغرامي

عالم أب من حلال وسحر وحال وممة وسلام
وان أمر عه الخيال سيقى أمد الدهر حينه الأيام
ميك سحر من السدحة واعلم ريمد السحور بالالهام
قد هجرت الكروم والحان والساقى وصوت الكؤوس والاعلام
وأنت الحياة إلا خيالا وعشقت الحياة بالأوهام
تساقى بها الكؤوس من السحر ونجيات دروكة الأحلام
والأزاهير حولنا تنقش راقصات بعير جرح دوامي
وطيور الخيال فيها تنانق برقيق الغناء عذب الكلام
كل شيء حتى الآن أراه متجيا موقع الأنعام
أشرفى الكأس واتركى لي فيه قبة تستقر بين عظامي
قبل أن يخطر النسيم فيمضي بأمانى الهوى ويذر حطامي
صالح جودت

الذكرى

لمن آهاتى الحرى اذا ما أظلم الكون
ودمعة مقلعة تبرى يعال سكبها الجفر
ذكرت هوائى مذ شبا مع الأحلام فتانا
قرحت أظعن القلب وأندى الدمع هنانا
ذكرت شفاهنا تدنو وما تفر فى اللثم
كلانا مدنف يخنو كأن العيش فى حلم
ذكرت البدر والأفق ونجمة قلبى الدامى
ذكرت بخدها الشفقا وفى العينين أحلامى
ليالى الأنس لم تبقى لقلبي غير ذكراها
يعانق طيفها عنتى ونفري لاثم فاها
أشاهد طيفها الباكي مع الأدمع جوا لا

واسمع صوبها الشاكي يذب القلب مهالا
سلاما أيها الحب وإن أورتنى شجوا
بجلاء عهدك القلب على ما فيك من ملو
دمشق م. جميل سلطان

على لسان شاب مصرى فى الثلث الاول

من القرن العشرين

ألا كم مر جيل بعد جيل وماضى المجد لا ينى إيابا
تنقل فى بلاد الأرض طرا وغادر مهده منه يابا
إلى أن عاد شوق لأم تكابد من تنائه عذابا
فجياها وأرسلها إليها رياحا قد رددن لها الصوايا
سرين وقد حملن لنا جليا نداء للكارم مستجابا
كذا قنا بعزم ليس يخبو لرفع مصر فى الدنيا شهابا
نعيد لها الشباب وكان حتما علينا أن نعيد لها الشبابا
صحا فينا الضمير فاد شعب صحا للجد يطلبه طلابا
بعد الفكر فى ثقة سفينا لبحر العيش مصطنجا عبابا
علينا الواجبات هناك شتى وطرح الضيم أولها حسابا
فما نشطت بذاك العبء قوم إلى فضل ولا شرفوا جنايا
بنى مصر الكرام سلام بده إذا ما نلتم العلياء طابا

دمعة على شاعر العرب الكبير

المرحوم حافظ بك إبراهيم

أرسل إلينا الشاعر اللبناني الرقيق سابا زريق قصيدة بهذا
العنوان فى ٧٠ يتنا من أصدق الشعر وأروعها ، جلا فيها
عواطفه النبيلة فى ذكرى فجيعة العرب بشاعرهم حافظ ،
واذا ضاق باب الشعر فى الرسالة عن نشرها ، فلن يضيق
عن تقديرها وشكرها ، فللاستاذ الشكر الوفور والمعذرة
الخالصة ؟

والرسالة ، وقعت غلطان مطمئنان فى قصيدة ، احسانا ، للأستاذ الزهاوى التى
شرت بالعدد ١٥ ، ص ٢٨ ، الأولى سطر ١٥ بعد ما قد نوت ، وصوابها - بعد ان نوت
والثانية سطر ٢٠ : خير فبر - وصوابها خير غيث .

في الأدب الشرقي

من الأدب التركي الحديث

عبد الحق حامد

للدكتور عبد الوهاب عزام

نشرت في الرسالة ، المأضية ترجمة المقدمة المنشورة التي كتبها شاعر الترك الأكبر للرثية الكبرى التي رثى بها زوجته فاطمة وسماها ، المقبر ، ووعدت أن أنشر في هذا العدد مثالا من شعر هذه الرثية .

ولا أكنم القارىء أنى حين وضعت الكتاب أمامى - وهو زهاء ألف بيت تدفق بها قلب الشاعر الحزين على غير ترتيب - لم أدر كيف أختار: الرسالة لا تتسع للأسهاب ، والأيجاز لا يفي بالأمانة ولولا وعد لقراء الرسالة سبق ما كلفت نفسى هذا الشطط . عبرت الكتاب أنتقى من صفحاته ، أبداً ترجمة الفكرة ثم يضطرنى إطناب الشاعر إلى الوقوف دون غايتها . وأجد البيت الفرد البديع مكملاً أياها كثيرة فلا أستطيع أن أترجمه وحده ، ولأن أن ترجم كل ما اتصل به ، على أن فى بعض الآيات إيهاماً وغموضاً وفى بعضها اضطراباً . وقد وصف الشاعر كتابه فى المقدمة التي يذكرها القارىء ، وقد ترجمت عجلاً حين ضاق الوقت ، حتى أرسلت المقال بالبريد على قطعات ، من خوف الزيات ، : أواه لم يبق الحبيب ولا الدار . وبقي قلبى ملؤه الأحزان والأكدار . كانت هنا الآن فصفت منها اليد : جاءت من الأزل وذهبت إلى الأبد .

ذهبت وبقيت هي تراباً ، وحلت رفاتنا قفراً ياباً . أواه انما بقي من أنس القلب الكريم ، قبر فى بيروت مقيم . أين أين أنفث عن هذا الحبيب ؟ ومن أسائل عن هذا الغريب . يارب ! أين أين هي : فى الأرض أم السماء ؟ رب ! من قذف بي فى هذا الشقاء ؟

يقولون : انس خيل الوفاء ، فقد سلك طريق البقاء . هل

يسع الخيال هذه الحقيقة ، وهل ترى العين هذه الفجعة ؟ ما أسرع ما انقلبت فى الحال ! انقلاب لا يصدق الفكر والخيال . أرى شيئاً ، أراه يشبه القبر أو يشبه الحبيب حين أنعم النظر . تمضى فى على الشك اللبالي ، ويزيد على مرها حزنى ووبالى . إنها صدمة انقلاب قتال ، فليت شعرى هل حُمى الزوال ؟ هل فاطمة اصعدى من اللحد ، وأرجعى سيرتك التى أعهد . لا تكتمى عنى هذا السر . وأفصحى بكلمة . أواه إنما أريد كلمة منك . ابتسمى انتسام الورد ، وداوى حرج القلب . وأتمى أيام حياتى بنظرة معسولة ، أو بسمعة ساحرة .

أقبر هذا ؟ ما هذا الذى أرى ؟ أمكان الحبيبة هذا الثرى ؟ انها لمحنة ، انها لحيلة ، انها لفنائى وسيلة .

أنظر أنظر كيف حال الياسمين المتور ، وانظر إلى الوجه الوردى كيف اغبر : تعسا لك تعسا أيها الجدة الأعسر ، وبأويلتنا الى يوم المحشر .

رب ما غاية هذا العيش الأغبر ؟ وما غد هذا البشر ؟ أبلغ فكرى روحها ، أو سير روحى إلى ترابها

رب ما هذا الصفر فى الحساب ، لكل الأرقام إليه انقلاب . أمر عدم ذو وجود أو قبر فى اضطراب ؟

لقد تولاهما السقام ، وملأت صدرها الآلام ، تضحك وضميرها فى عذاب ، تخفى بضحكها خفى الأوصاب

وكم حسبها الناس فى سرور ، وما سرورها إلا الحزن المكتوم ، حتى ملأت بالأس نفسى ، وأثارت الفتنة فى قلبى .

القبر منتهى هذه الدقائق ، وسر عجيب من أسرار الخالق . نور كلما مال للغياب ، هبط إلى كومة من التراب .

هذا أعلى الشواهد ، وهذا أروع الحقائق ، أيها الشقى تلك حقيقة لا تدرك . هذا شأنك ، وهذه فى الدنيا حالك

لقد كانت شعراً بليغاً مبهماً ، كان فكرها شاعراً ملهماً . صحراء وتزر وأشبهر (١) ، من وحيها وما كنت الا واسطتها

(١) صحراء وتزر وأشبهر ثلاث منظومات للشاعر

كنت أفهم هذا الوجه الشاحب ، الذى مسح شعري اللون
المعجب . تأبى أفكاري أن يكتب ويفهم ، وهل تنحت الجبال بقلم ؟
اجتمعت ضروب الآلام فى صدرها ، والناس فى غفلة عن
أمرها ؛ كان كل من رآها يشفق عليها ويحسها ، ولا يدري لماذا ؟ ...
وكانت ملكة الخلق الكريم . والفكر الديد . تشعر بخطر
نفسى وتقرأ أسارير وجهى

وكانت وإن لم تكثر الكتابة ، ماهرة لا تخطئ . الإصابة .
وكم فنت منها بالكلم الدقاق والذكاء العجيب ، قد عمر بها شعري
الخراب ، وتلاؤلا فيه صنعها العجيب . كانت نجى الأفكار فى
نفسى خيرة بالكلمات التى تندى عني .

نذبل الورد الناضرة فتخلفها وردة أخرى ، تضيء مكانها
وتفتت ، كان الأولى لم تتغير . وتغرب الشمس المنيرة فاذا هى
فى الصباح مشرقة . ولكن شجرة الورد هذه لن تزدهر ، ولكن
هذا الجرم فى غروب مستمر .

سلكت بي الفكر ألف سبيل وراءك أيها القمر فمى
العقل دونك وأقصر . صاعقة ولكن لا يسمع صوتها ، ونور
يسقط ولكن لا يبين ضياؤه .

يارب أين أين الحقيقة ؟ أجعلت الغم سر هذه الخليفة ؟
مهما طال فى الأنين واستمر ، فما هو الا كائن الشجر
لأرب أن حياتى سم أنجرعه ، فيدنى من الموت الذى أرتقبه ،
شرح هذا الوجود فهو عدم ، وكقلب هذا السرور فهو ألم .
ليت شعري أفى الموت نجاتى ؟ ليت شعري ماذا يجب الى
حياتى ؟ قد انهدمت خليقتك على يارب فكيف تحتها ثباتى ؟
حسبي حسبي سئوم هذا القهر ، حسبي حسبي طغيان هذا
النهر . أليس لهذه السيول تنامى ؟ حسبي جرعة واحدة يا الهى .
ما بقاى فى الدنيا ! أعضو أنا فى جسم الدهر ؟ أنا يارب
مرآة جلالك أم أنا شعاع من جمالك ؟

أمامى مسجد التوحيد الرضاء ، وفى عقلى الشك وفى قلبى
الرجاء . وفوق لقاء السرمدية ، وتحتى فناء الآدمية .
أرجو من الخالق خلودا ، فيدولى التراب والحجر وعيدا (١)
وأقول ان الانسان لا مريم ، الى الفناء ، فتصبح روحى :
كلا إنه للبقاء . . .

(١) يريد تراب القبر وأحجاره

ان لم يكن للبشر مزية فى الوجود . فلماذا توحى اليه المشيئة
الخلود ؟ أيها القبر إنما هذا السكوت . خطاب الحى الذى لا يموت .
(يستمر الشاعر يقيم الحجج على خلود الانسان ثم يرجع الى
خطاب حبيبته ثم يحاطب الله سر الاعتراض والتسليم الى أن يقول)
رب كيف لأشكو ؟ ألا يصيح الخرخ ؟ ما هذا القبر الذى
أمامى ؟ وضعت فيه حبيبا حبيلا . وحملت التراب حدود عقلى .
وحسنت ادراكى على هذا الحجر . واعتصمت بك وهويت على .
إن لم يكن للبكاء جدوى فكيف يسكت القلب للروح عن
الشكوى ؟ لماذا تنس الطيور فى الأوكار ؟ أليس لقلبي أغنية
ك هذه الأطياف ؟

قالت لى يوما فى اضطراب : جئت الى الهند لأموت فى
اغتراب . فضحكت من قولها وتكلفت الثبات . ولكنى
أحسست أن قلبي قد مات . ثم ودعنا الهند بين الموت والحياة .
جاوزنا القناة فى غم وكرب . وليس القوت الا دم القلب .
كلما سألت أجاب السعال الطالم . ذلك الجواب المظلم .

حتى اذا لم يبق الا رمق ، لاحت بيروت فى الأفق « ومر
يوم ولم أدر بما كان وسألها فاذا النعش عيان

النعش هذا الدليل دليل المقبر ، النعش ذلك الهيكل الأغبر ،
النعش ذلك الخطيب الأصم الأكم ، النعش ذلك الهمود المجسم .
النعش هذه السكة المحيرة ، النعش تلك المصيبة المكررة . النعش
ذلك الانقلاب الصموت . ذلك الحد المتحرك للعقل المبهوت .
النعش خرابة الأمل الخامد ، النعش ذلك الاغبرار الخالد . النعش
ظل المحشر على الاكتاف ، النعش ذلك الموت المتموج
النفث على هذه الروح الواحه ففتحت ذراعى للموت
أيها التراب المضى . تراب الحبيب الصامت ! أيها النور
الأسود الثابت ! ان قلبى ليتحطم من جمودك ، وان روحى
لتموت من خمودك . .

لا لا ، ليس ترابا انه موت ثابت . لا لا ، ليس موتا انه جزوار
صامت . لتحرس الملائكة هذا القبر واتضى عليه الثوابت .

ليس ترابا كله قبر الحبيب ، ان له قبرا آخر من النيان
الرهيب . النيان أسفل المقابر ، النيان مقتل الأكابر .
وقبر آخر ذلك القلب الهباء فهو والتراب سواء . فالحبيب
ذلك الملك المسافر ، طائر بين هذه المقابر . . .

يارب ما أعظم محبتك التى أرى وما أعظم رحمتك التى

في الأدب الفري

« واذا أتى يوماً؟ »

قصيدة لموريس ماترلنك

للأستاذ أبي قيس عز الدين علم الدين

عصر النجم العلمي العربي

بمناسبة ما نشرته الرسالة البارعة في العدد الرابع عشر من رواية بلياس ومليزاند ترجمة الأستاذ حس صادق، أعت للرسالة بقصيدة تعد من روائع الأدب الرمزي، وقد نقلت الى معظم اللغات الغربية، وأما شاعر هذه القلادة المروية فهو الأديب البلجي الكبير موريس ما ترلنك Maurice Maeterlinck الذي ولد في غاند سنة ١٨٦٢، وقد نشأ مفطوراً

تفيض بها الأرجاء كلها ألا يقنى في هذا كله الفراق المنبعث من القبر؟

هذه الأنجم ضياء وحدتك، وروحي كذلك أحدكوا بك، والحبية التي كانت ملكاً - طارت لا ريب - الى جنتك كلما ذكرتك اتسع خيالي، وصارت فجراً منيراً هذه الليالي. ما أعظم اسمك أنسا للروح، انه يسير اليك في صيحات الفؤاد المجروح!

أقول، الله، فيفسح المجال، أقول، الله، فيفارقني الزوال، بحركة هذا الصوت الأعظم، يطير جناحي وان حطمه النعم أنت أقرب الى الله يا محمد، أبها العقل المعظم المؤبد، أنت الذي سلكت بنا السبيل، وكنت الى الله الدليل.

ليصمت بعد هذا النواح، فلا تضيق به الأرواح، هذه الآلهة التي تفيض من الروح، لن يسمعها بعد الاقلبي المجروح سأكون في الدنيا قبرها، تطوف فوق روحها، سأصمت عن هذا التحيب، لأفرغ للتفكير في الحبيب. اه

على حب الأدب، فحقيق الصناعات ويعدده اللحنون من عمارته شمراتهم وكتائبهم الخالدون. وقد أدخل في الأدب البلجي اسلوباً جديداً وامارت قصائده مطابع حزن عميق شير مكنون الاسمى، وأما رواياته التخيلية فاسها تنفع مطالعها بأن حياة الناس حاضنة لعوامل حمية. وأن العالم الارضي مقصى عليه بقضاء وقدر مضاعف: قدر الحمام، وقدر العرام. وأهم آثاره: يوت الزجاج (١٨٨٩)، الاغانى الاثنا عشرة (١٨٩٧)، الاميرة مالن (١٨٨٩)، العميان (١٨٩٠)، بلياس ومليزاند (١٨٩٢)، العصفور الازرق (١٩١١)، كنز المتواضعين (١٨٩٦)، الحكمة والقدر (١٨٩٨)، حياة النحل (١٩٠١).

والآثار الثلاثة الأخيرة تدل على براعة ماترلنك وعبقريته، وعلى رسوخه في فلسفة الاخلاق وعلى شاعريته الجبارة. وأما قصيدته الخالدة الموسومة بعنوان « واذا أتى يوماً؟ » فهي من مرويّات أغانيه الاثنتي عشرة، ويعود تأثيرها البالغ الى تأثير موقفها الفاجع، ولعمري أى أمر أفجع من موقف شقيقتين تحتضرا احداهما فتسألها الاخرى عما تجيب به اسئلة خطيها اذا ما عاد يوماً من دار هجرته الى دار مهجته، فتجيبها، ولم يبق من شقيقتها إلا حشاشة، بأجوبة رمزية تشبه غصص المنية، وإليك الآن هذه الاغنية لتلغ القلوب الشاعرة لزفراتها، وتتزع المقول العبرة من عبراتها...

س: واذا أتى يوماً وعاد فما أقول لمن يعود؟
ح: قولى له. انتظرتك حتى فارقت هذا الوجود
س: واذا الح وليس به رقى ليكتشف الحقيقة؟
ج: فتحدثى معه كما تحدثين الى شقيقه
س: واذا تسأل: أين أنت فما يكون جوابه؟
ج: أعطيه خاتم خطبتي الذهبي فهو جوابه

س: وإذا استراب وقد رأى في المنخدع الخالي العجاج؟
ج: فإليه أن الباب. مذ تروح مذ انطلقا السراج
س: وإذا استزاد مروءةً عن حال ساعتك الأخيرة؟
ج: قولي له: ابتسمت مخافة أن تروح على الكسيرة
الفيحاء أبو قيس

« بوفون BUFFON »

تمنحض العالم عن شخصية جورج لكلرك « قونت بوفون » في مدينة « مونت بار » عام ١٧٠٧ . ولما يقع وترعرع دخل معهد الآباء اليسوعيين ، ليحتلب من ضروعه علوم القرن الثامن عشر ؛ ولكن نفسه الجبارة نزعته إلى الطبيعة الخلابة ، فودع بقية العلوم في ذلك المعهد ، وراح يضرب في أنحاء إيطاليا وإنجلترا ، يتحرى قرانين الطبيعة في أماكنها ، ويدرس طبائع الحيوان والنبات عن كثب ، شأن البحاثة المدقق الذي لا يرضى بما لاح من صيد ، ولا يعود من مغامرته بالقشور دون اللباب . فأنكب على العلوم الطبيعية ، يقتلها درساً وتحقيقاً ، حتى ضرب فيها بسهم صائب ، وبلغ منها ما أمل وما أراد ؛ ولم يذُر مع الأرض حول الشمس ٢٦ دورة حتى انتخب عضواً في « أكاديمية العلوم » . وبعد هذا التاريخ بست سنوات عين ناظراً عاماً « لبستان الملك » الذي يطلق عليه الفرنسيون اليوم اسم « بستان النبات » . كان « بوفون » إذا أراد الكتابة ، اعتزل الضوضاء في غرفة منزوية ، وارتدى ثوبه ذا الأكام الموشاة ، والناطق باسم مقامه العالي ، وتقلد سيفه المحلى بحلي ثمين ، ثم جلس إلى مكتبته يتخير لأفكاره أشرف المباني ، ولعواطفه أرق التعابير ، وحينما ينتهي من كتابته يعيد قراءة ما دبحته براعته ، بصوت مرتفع أجش ، وجنان تتجاوب في أرجائه عواطف الحماسة والعظمة ، حتى إذا ما هذب ونقح ، وتلا ما كتبه ثالث مرة : غادر مكتبه وماء البشر يترقق في وجهه ، ونشوة السرور تدب في جسمه . اشتغل بوفون مدة خمسين عاماً في تأليف كتابه « التاريخ الطبيعي » ، جوهرة الأملس

ودرة اليوم . ولكن المنية شعبته فحالت دون تدوين دراسته المستفيضة بكاملها . فظل الكتاب مبتوراً تنقصه أبحاث مهمة كالآفاعي والأسماك ، والحشرات والنبات ، وقد سد هذه الثغرة في هذا الروض الأريض « لاسيد » تليد بوفون المختص ، وصديقه الخيم

ومهما يكن من شيء . فإن « بوفون » ما زالت تطوى المراحل وتجوب الأمصار ، وسمعه ما انفكت تسير بدكرها الركبان . وتتجاوب بصداها المحافل . وقد عرف له مواطنوه نبوغه ، فانتخبه المجمع العلمي الفرنسي عضواً فيه . وأنعم عليه لويس الخامس عشر بلقب « قونت » .

ولم تخسرمه يد المنون في عام ١٧٨٨ حتى رأى تمثاله منتصباً في مدخل متحف التاريخ الطبيعي ، وقد حفر عليه باللغتين الفرنسية والألمانية : « إن عظمة الطبيعة تساوى عبقريته » .

ولست لأعرض الآن لأدبه بالتحليل والنقد ، فعسى أن أعود إليه في يوم آخر ، ولكنني مترجم هنا آية من آياته الخالدة ، في وصف الصحراء العربية .

• • •

« صحراء جزيرة العرب Le desert de l'Arabie »

« تصور بلاداً لا تنفس عن اخضرار ، ولا تترقق في مآقيا المياه ! شمسها تنقد اتقاداً ، وسماؤها أشد حفافاً من الضرع النازي . تستر الرمال أدُمَ وديانها ، وتسيطر جنود الجذب على جبالها ! ! تطل عليها الباصرة فيضل البصر فيها ، دون أن ينعم برؤية شيء تتجاوب فيه خطرات الحياة . أرض جر عليها الموت أذياله ، قد عصفت فيها أعاصير حاصبة ، نزعته عنها غلاتها الرملية ، فلا يصطدم فيها بنظر العُقاني ، إلا بهياكل عظمية ، وحصباء منثرة ، وصخور منصبة ، وأخرى مستلقية .

صحراء ليس بينها وبين وهج الشمس من حائل ، فليس بمقدور المسافر أن ينيء إلى ظلال بليلة . هنالك لا صاحب

اللقاء العجيب

لأندره شيفيه

هي: أيها الغاب هل رأيت حبيبي قرب ماء العدير عند الغروب؟
 كم صباح أذاك بل كم مساءً عندهم من الصبا وشدة الجنوب
 سوف أصغي لكل صوت بعيد فلعلني أحظى به من قريب
 هو: إيه يا موجة الغدير سلاماً يا عروس الماء انميري السكوت
 إحلي لي حبيتي فهي عندي زهرة الحب فوق غصن رطيب
 كم لثمت العشب الذي وطئه قدمها في الغاب دون رقيب
 هي: آه لو يعلم الحبيب بشوقي وحنيني وحرقتي وشحوني
 هل أراه في الغاب؟ إن خيالي ليراه في ذا المكان الرحيب
 سوف أدعوه بابتسام وعطف فساه يكون بعد مجيبي
 هو: رب هب لي رحاك صبراً جليلاً إنما الصبر جنة المكروب
 هل أتاها أني ليخفق قلبي لسماع اسمها الجليل الطروب؟
 سأنادي دوماً بصوت حنون علماً أن تجيب صوت الحبيب
 هي: آه إني رأيتك فأعني بالساني في ذا اللقاء الرهيب
 إيه يا ناظري ويا شفتيا إهدأ ساعة اضطراب القلوب
 هو: ما الهذي الاوراق تهز دوني؟ قد بدا لي ثوب الفتاة اللعوب
 إنه ثوبها فيا مقلتي عبداً عن غرامي المحبوب
 هي: أهنا أنت؟ إن ذا لعجب أنا وحدي في ذا المكان الجديب
 لم أفكر في أن أراك ولكن جزمته نحو بيتي المحبوب
 هو: أنا ألهو برؤية الموج وحدي وذرى اليزفون تجلو كروبي
 لم أفكر في أن أراك أمامي لم أفكر في ذا اللقاء العجيب
 محمد ناجي الططاوي دمشق

فيؤنس وحشته ، ولا شيئاً حياً فيذكره بالطبيعة الحية : عزلة
 مطلقة ، وارقة الجناحين ، ترعب أكثر من ألف مرة من عزلة
 الغابات ، لأن الاشجار كائنات حية في نظر المفرد المسكين
 الضال في هذه المهامه الخاوية ، والمتمردة على سلطان الحدود.
 يتراءى للمسافر حينها اشباح بوجهه ، أن قبره ينبوش في
 هذه الفيفاء : فيرى نور النهار الساطع ، أكأب من حلوكه
 الليل الدامس ، لأن هذا النور لا ينبعث الا لينير له عن
 خوره وارتخاء مفاصله ، والا ليمثل له هول موقفه وحراجه ،
 ذلك أنه ينأى عن عينيه حدود الحلاء . ويزيد في بسطة هوة
 الاتساع . تلك الهوة التي تفصله عن الاراضي الآجلة . رقعة
 واسعة تكفيه مؤونة التطواف ، ففيها جوع كاسر للطرف ،
 وفيها ظمأ عاصب للهم ، وفيها حرارة قاذحة للثياب . هذه
 كلها تضغط على ما بقي لديه من لحظات تتردد بين اليأس والموت .
 حليب : عبد الوهاب حومه

بحر ناعس

(SLEEPING SEA)

لجون فريمان

بحر
 كالطفل الغارق في سباته .
 يحتفظ
 بخوالج وجدانه في نهاره ليردها على لسانه في ليله
 لا تكاد
 تطفح لجته المرتفعة حتى تخور فتراجع في هواده وبطء
 والبحر
 في هدوئه كركود الطفل ، في غفلته . القمر من هزاله
 كلب الشمعة يذوى ويحترق .
 لاصوت
 بالبحر كالطفل الحالم وفي سكرة نومه الحادة يئن بخفوت مؤلم
 ثم يرسل من أعماق صدره زفرات حارة في تأوهات
 صامتة . لقد تشابها .

احمد محمد اليه

منوف



العلوم

نشوء الكائنات الحية على وجه البسيطة

للاستاذ السر آرثر طلمسن

خلال الادوار الاولى لتاريخ الارض لم يكن في مقدور اى مخلوق حتى تصوره ان يعيش وسط تلك الظروف. فقد كانت الحرارة مرتفعة جدا، وكان الهواء والماء معدومين في وجه البسيطة. اذن فلا بد من ظهور المخلوقات الحية منذ عصور سحيقة في القدم لا نستطيع معرفة تاريخها؛ اما كيفية ظهور الحياة للمرة الاولى فلا يعلم احد ذلك بالضبط، وكل ما هنالك احتمالات متباينة تأتي على ذكر أهمها: منذ القديم كان الاعتقاد السائد ان الحياة نشأت من طينة الارض بطريقة خارجة عن نطاق البحث العلمى، على ان هذا الرأى يفسد علينا فهم المسألة لتسريه في الحكم عن نشوء الحياة بهذا الشكل، فاذا كنا لا نعتبر هذا الرأى علما فذلك لان العلم لا يعطى قرارا جازما ولا يثبت في أمور لها من الشك نصيب كبير.

وذهب فريق من العلماء وعلى رأسهم الاستاذان « هلمهوتز Helmholtz » واللورد كلفن Lord Kelvin الى ان المخلوقات الحية البسيطة لم تنشأ من صميم الارض بل جاءت اليها من الخارج بحولة بقطع الشهب المتساقطة او بواسطة الغبار الكوني، على ان تلك الكائنات ظلت في حالة السبات لعدم ملائمة الظروف لها حينذاك، وبهذه المناسبة يجب ان تذكر ان بذور النباتات تستطيع ان تقاوم البرودة والجفاف زمنا طويلا، كما ان « البكتريا » تستطيع احتمال درجات مرتفعة من الحرارة دون ان تفقد حيويتها. وكما يرى الاستاذ « برثلو Berthelot » انه طالما لا يحدث انحلال جزيئى ففى إمكان الافعال الحيوية ان تتوقف عن العمل مؤقتا ريثما تعود الظروف الملائمة. اذن فنظرية اللورد كلفن تنسب أصل الكائنات الحية الى غير الارض.

وذهبت فئة اخرى من العلماء تقول بأن المخلوقات الحية البسيطة نشأت على سطح الارض من مواد غير حية اى من مركبات كاربونية نصف سائلة بتأثير بعض الخواثر. وتمزج هذه النظرية بما وصلت

اليه أدوات علماء الكيمياء. التركيبية الذين يجحوا في تركيب بعض المواد العنصرية كحامض الاوكساليك والجل، وحامض الساليسايك والكافئين. سكر النعصب طريق صناعية بحتة. على آسلا نعلم بالضبط من يقوم مقام العالم الكيميائى في مختبر الطبيعة! ومهما كان الامر ففى المسألة غموض ونعقد كيران لا تنخلص منها الابتيحة واحدة وهى ان العلم لا يستطيع الى الوقت الحاضر ان يقول كلمته فيها. أول جسم عضوى على الارض

ان أول ما يتبادر الى ذهننا اوله هو كيفية نشوء المخلوقات الحية الاولى على الارض أو بالاحرى عن الحياة التى كانت تغطى وجه البسيطة في ابتداء دور تكوينها. ولأدراك ذلك علينا أن نستعين بأبسط المخلوقات الحية في الوقت الحاضر كبعض أنواع البكتريا أو العضويات الأحادية الخلية وخاصة المسماة منها بالاحياء الاولى (Protists) الى لا يمكن تعيين انتسابها الى المملكة الحيوانية أو النباتية. لا شك ان الحزم في مثل هذه الامور يعد تطرفا لا يجيزه العلم؛ انما يميل العلماء الى التسليم بالنظرية القائلة، ان المخلوقات الاولى كانت كريات مجهرية من مادة البروتوسلازم الحية، لا تختلف عن أبسط أنواع البكتريا في الوقت الحاضر الا بكونها تستطيع المعيشة في الهواء والماء والاملاح الذائبة على السواء. وبظن أن العضويات البحرية الأحادية الخلية نشأت من هذا الاصل وكانت قادرة على صنع الكلوروفيل أو ما يشابهه وربما كانت هذه الوحدات الصغيرة الحية محاطة بغلاف سيلولوزى. غير ان طاقتها الكامنة عظمت فتمنضت عن ذبذبات أو شميرات (flagella) صغيرة مكنتها من تسيير نفسها في الماء للتفتيش عن الغذاء. ولا يزال من امثال هذه العضويات كثير في الوقت الحاضر أغلبها يعيش في الماء والبعض منها - وهى نباتات بسيطة أحادية الخلية - تصبغ سوق الاشجار وحتى الصخور الرطبة باللون الأخضر وتدعى الخريزات (Algae) ويرى الاستاذ (شورش) A.H. Church أن البحار التى كانت تغطى وجه البسيطة في مستهل تاريخها كانت مأهولة بهذه المخلوقات المذبذبة الخضراء التى وضعت الحجر الاساسى لعالم النبات وبظن ان الاحياء الاولى ولدت سلسلة أخرى من المخلوقات

المفترسة البسيطة لم يكن في دس-ها أن تكون المادة العضوية - الغذاء - من الهواء والماء والاملاح فكانت تعيش على افتراس ما يجاورها من العضويات . ان هذه الوحدات كانت عديمة الغلاف السيلولوزي بحيث يسهل للمادة الحية أو البروتوبلاسم القيام بالعمليات الحيوية المتنوعة على بحر ما راء الآن في الاميا أو في كريات الدم البيضاء وغيرها . من هذه العضويات المفترسة نشأت المملكة الحيوانية بأسرها .

نستنتج مما سبق ان الحيوانات الاولى والنباتات الاولى نشأت من الاحياء الابتدائية البسيطة ثم أخذ كل منها يسير في اتجاه خاص .

بداية نشوء النباتات البرية :

من المحتمل جداً أن المياه كانت تغطي وجه الارض في أدوارها الاولى ، وأن ذلك البحر المترامي الأطراف كان مأهولاً بالنباتات الابتدائية من ذوات الكهيرات (Flagellates) على أن انكماش القشرة الارضية احدث مرتفعات ومنخفضات في قاع البحار ، واقتربت على أثر ذلك الطبقات الصلبة في بعض الاماكن نحو سطح الماء ، فسمحت للنباتات العائمة أن تستقر هناك على مقربة من النور . هذا ما يصوره لنا الاستاذ « ش ش » عن مبدأ النباتات الثابتة وهي خطوة ذات شأن عظيم في سير التطور . ويظن ان أول نجاح صادفته الحيوانات كان بين هذه النباتات القديمة . وقد أخذت اليابسة بالظهور عندما ارتفع قاع البحر في الاماكن الضحلة تدريجياً . ان تلك النباتات الثابتة كانت اسلاف حشائش البحر التي تعيش على الشواطئ البحرية الآن .

الحيوانات الاولى

ان الحيوانات التي هي تحت مستوى « الحيوانات النباتية » (Zoophytes) والاسفنجيات تدعى بالحيوانات الابتدائية أو البروتوزوا (Protozoa) - ومعنى هذه الكلمة الحرفي الحيوان الاول - وكل ما نستطيع أن نقوله عن هذه الحيوانات ان أبسطها تدبیرنا عن بساطة تركيب الحيوانات الاصلية الاولى . والواقع ان أغلب الحيوانات الابتدائية المعروفة في الوقت الحاضر هي على درجة من التعقيد لا نستطيع معه أن ندعوها « أولية » بالمعنى الصحيح ، ومع ان أغلبها بحرية الا أن كلا منها حيوان تام قائم بذاته يقوم بنفس العمليات الحيوية التي تقوم بها نحن ، وتختلف عن الحيوانات العليا في عدم تكوينها من الوحدات التي نسميها « خلايا » فهي اذن خلية واحدة مستقلة عديمة الانسجة وعديمة الاعضاء .

— بحسب المفهوم العلمي لهذين الاصطلاحين — على اننا في كثير منها نعثر على تعقيد كبير في البنية الداخلية أكثر مما نقع عليه في الخلايا الاعتيادية التي نرى منها أنسجة جميع الحيوانات الراقية . وهذا الاعتبار نستطيع أن نقول ان المخلوقات الابتدائية هي مخلوقات حية نامة لم تكتسب التكوين الجسدي بعد بدء تكوين الجسم

قال العالم الطبيعي « لوبس اكاسيز » (Louis Agassiz) ان أكبر فراغ وجد في العالم العضوي كان ما بين الحيوانات الاحادية الخلية والمتعددة الخلايا وبعبارة أخرى ما بين الحيوانات الابتدائية (protozoa) وما وراء الابتدائية (Metazoa) . ولكن لم يبق ثمة فراغ بين العرعين بتطور الاسفنجيات وأمعانية الجوف والديدان البسيطة وظهورها باجسام المرة الاولى . فكيف نعلم تكوين الجسم وهو في خطوات التطور الكبرى ؟ . ليس في استطاعتنا ان نعلم كيف حدث ذلك على وجه اليقين إنما يمكننا ان نبسط هذا الرأي المستمد من دراسة عميقة وبحوث دقيقة :

عدد ما ينقسم الحيوان الابتدائي (protozoon) الى شطرين أو أكثر - وهي طريقة التكاثر التي يتبعها - تنتشر الانسال وتعيش مستقلة بعضها عن بعض ؛ ولكن بعض الابتدائيات لا تنفصل أنساها بل تبقى مرتبطة مع بعضها فالنولفوكس (Volvox) - وهو حيوان كروي اخضر اللون جميل يوجد في بعض الابقية ، ما هو الامستعمرة لآلاف أو عشرة آلاف خلية ومن مجموع هذه الخلايا يبدأ بتميز الجسم . على ان خلايا النولفوكس هي من نوع واحد بينما نجد في خلايا الحيوانات التي تلي الابتدائية تخصص في العمل مما يدل على رقيها في توزيع الأعمال . فالجسم يبدأ بالتكون من تجمع قسم من المادة الحية حول كل نواة ، ويرتقى تكوينه كداحصل توزيع في العمل وتميزت الخلايا الجرثومية (أو التناسلية) فيه عن الخلايا الجسدية .

اكتسابات عظيمة

ان تناظر الجسم العام في حيوانات كشقاقات البحر وقنديل البحر يكون شعاعياً أي لا يرجد له جهة يمين أو يسرى ويمكن تصنيف الجسم بأكثر من سطح واحد . وهذا النوع من التناظر ملائم جداً لحياة الارتكاز أو الابحراف مع التيار . على ان حياة الديدان كانت تتطلب الحركة فاستدق طرفاها وصار لها جهة امامية وجهة خلفية وأصبحت أغلب الحيوانات من الديدان الى الانسان ذات تناظر جانبي تتميز في جسمها جهات أربع ولا يمكن تصنيفها الا بسطح واحد .

الاقيانوغرافيا

أو

تقويم المحيطات

بقلم الدكتور حسين فوزي

مدير إدارة أبحاث المصائد

— ٢ —

أرموريك بلاد الانواء! اراجضة في درعها الجرانيتي عند الطرف الشمالي الغربي من فرنسا بين الماش والأطلانطيق. نشأ حول أحاديدها وجواناتها وخليجاتها قوم من المجازفة عركوا أهوال البحر جنوبي أسلده وشرقي الأرض الجديدة. ومن تلك الخليجات

لاشك ان هذا النوع الآخر من التناظر يلائم حياة أكثر نشاطا من الحياة التي تستلزم التناظر الشعاعي، لذلك كان في وسع هذه الحيوانات الجانبية التناظر ان تفتش عن طعامها وتجنب الأعداء وتترصد لاقتناص الزوج أو الزوجة. وقد رافق هذا التناظر تخصص القسم الامامي من الحيوان للتحسس بالمؤثرات الخارجية، وهكذا تميز الرأس عن الجسم وكانت تلك خطوة أولى في تكوين الدماغ.

ثم ارتقى الحيوان في مدارج التطور خطوات واسعة فكان له رأس نام فيه أعضاء للحس وتكون في جوفه سطوح داخلية واسعة كالجدار الهضبي ومناطق الامتصاص في قناة الطعام، ثم تمت فيه عضلات تنقل وتبسط بسهولة، وأخيرا تأسس فيه نظام الدوران الذي جعل الدم وسيطا لنقل الاوكسيجين والمواد الغذائية الى كافة أنحاء البدن وحمل الافرازات الضارة بالجسم لتفرز خارجا.

الهورمونات Hormones

وارتقت الحيوانات العظمية درجة أخرى بتكون غدد الافراز الداخلي كالغدة الدرقية، والغدة الادريالية وغيرهما. وفائدة هذه الغدد تحضير مواد كيميائية يوزعها الدم على جميع أقسام البدن ولها أثر كبير في تنظيم العمليات الحيوية. وتعرف المواد الكيميائية التي تفرزها هذه الغدد باسم «هورمونات» التي تزيد في فعالية الأعضاء والانسجة. ان بعض هذه الهورمونات تنظم النمو وتغير ضغط الدم وتركيبه بسرعة، والبعض الآخر يستدعي بعض أقسام البدن الى النمو الفعال كغدد الحليب في الأم التي تنبه بفعل بعض الهورمونات.

تلخيص: بشير الياس اللوسي

(الموصل)

والجوانات خليج دوارنييه تشرف عليه من نواحيه المحمية من الريح الصرصر غابات الصنوبر. وهو في أغلب أنحائه عار أجرد تحف به مدارل صيادي السردين قائمة الى جانب الكنائس البريتونية المنحوتة من الجرايت. عابسة للمحيط عابس لها. صامدة للمواصف تلتقاها على أسة أراحها العوطة.

الوقت منتصف الليل وقد شهدت نسوة الصيادين عدد غروب اليوم عودة الوارس فارعة من عررس البحر ورحس للعاصفة وارتفعت أبصارهن الى صور العذراء وتمانيها في أركان القرية وتحت أعطاف الكنيسة وفوق الاسرة الخشبية يتعودن بها لتحمي أزواجهن وأولادهن وعشاقهن من هول الذوء المهاجم.

وفي أشد ما يكون صرير النوء تنصت نساء ساتان دي لا يالود وأوديرن ودوارنييه الى أصوات نواقيس تتصاعد من أعماق الخليج. تلك نواقيس عاصمة كورنواي النازقة.. آيس، حاضرة الملك جرالون حامى حي المسيحية الأولى في أشخاص قديسها رونان وكورتان وجينوليه. من دون ابنته داهوت التي ركب مركب الشيطان ففتحت المغالبي التي تحمي مدينة آيس من الاقيانوس.

يصبح سان جينوليه «البحر يامولاي. بادر الى جوادك» فيمتطي الملك جواده. وتقفز داهوت خلفه. ويحاول عبثا أن يلحق بالقديس الساج بجواده فوق العباب
— الجدة ياجينوليه!

— ألق تلك الملعونة في اليم أو أنت من اهالكين.

واذ تبتلع الامواج داهوت يواصل الملك سراه حتى يوقفه جينوليه فينقلت خلفه باحثا عن عاصمة كورنواي فأذا «آيس» لا أثر ولا عين طغت عليها أمواج خليج دوارنييه.

كذا جاءنا حديث الخرافة بخبر مدينة «آيس» العارقة. وخبر غيرها من المدائن. لبونيس وأسمايدوسان يرندان.

ولو أن الأمروقف عند حد الخرافة لارتحنا إلى قصص السندباد. وتهريف بعض كتاب العرب إذ يقصون بأ الجزيرة التي ينزل بها الواحدة فما أن يوقدوا نيرانهم حتى تمد بهم وإذا هي حوت هائل يتأهب للعودة الى الأعماق. ولم تسأل ان كان هذا حوتا أو تنيا أو دابة من دراب البحر الأخرى على حد قولهم.

ولكن فلسوفا له في نفوسنا إجلال وإعظام. هو أفلاطون ردد ما ذكر عن سولون من أنه عرف عن كهنة مصر بأمر جزيرة «أطلانطيس» الراقعة عبر أعمدة هرقليس في البحر المحيط وهي بلاد «أكبر من آسيا الصغرى وليبيا مجتمعين» غزا أهلها جميع شعوب البحر الأبيض الا شعب أثينا من تسعين قرنا خلت قبل ميلاد سولون

وعاد أفلاطون في موضع آخر إلى الإشادة بـ « أطلنطيس » وحدث بانخسافها في مياه الأفيانوس العربي « الأطلنطي فيما بعد » فكانت عائقا للملاحة فيها وراء أعمدة هرقليس .

أبى الخراب الذي يحل يونان وفلاسفتها إلا أن يصدق أفلاطون فاعتقد بوفون وموثيني وفولنير بحقيقة تلك البلاد المغمورة . وحاول الكثير أن يثبت أن الجزر السعيدة « الخالدات » هي النقية الباقية من « أطلنطيس » اللجنة الأرضية

كذا كان هذا شأن الجزيرة التي قيل بأن القديس برندان سار إليها المحيط . توجهت إليها بعثات الاستكشاف الإسبانية والبرتغالية حتى اتفق سنة ١٧٥٩ على أن حرية « سان برندان » لم تكن سوى سراب بحري

ولكم حدثنا جواب البحار بأحاديث نبات الماء معسولات الزعم يعررن بالوئي ويلقى نفسه بين أحضان ويحمله إلى قصر ملك البحر في أعماق المحيط . وهو قصر « جدرانها من المرجان ونوافذه من أرق ما يكون القمرمان . سقفه من أصداف تفتح عن لآلئ . تظله أشجار عجايب تسبح بينها أسماك ذات ألوان كأنها طيور لا تعرف الأسجاع (١)

وإذا كان النواخذة اهتموا بتعرف سطح المحيطات منذ أقدم المصور لأغراض الملاحة ، فقد ظل باطن البحر سرا أمعن في أغلاله خرافات رواد البحار وأقاصيصهم بل وتلك المخلوقات الغريبة التي اصطنعوها اصطناعا ليدلوا بها على تهریفهم . ولا زلنا نذكر تلك السمكة التي اصطنع لها وجه فرد أو إنسان للتنويه بها على الناس بأنها من عجائب البحار . وقد رأيناها معروضة في متحف موناكو كأثر من آثار تلك العهود

ولم نذهب بعيدا وما قئ صياد البحر الآخر يتحدث إليك عن أسماك ذات أظلاف وشوارب أو شعور وصدور ناهد . وليس العهد بعيد أن نشرت إحدى كبريات صحفنا صورة وحش بحري كبير لاصقة به سمكة صغيرة قبل عنها بأنها « تفوده لضعف بصره وتسعى لغذائه » . وكانني بها أتيجوني تفرد أوديب الاعمى خارج أسوار طيبة ليس من العسير إذن أن نكون صورة عن رأى الناس في أعماق البحار وسكانها في أواخر القرن الثامن عشر . وبيننا من لا يزال يعتقد « بالصر سمكة والصر بني آدم » و « الهايشة » وما إليها من مخلوقات تبتلع المدائن في لمح البصر بله الآدميين . فإذا كانت استكشافات الملاحين في القرنين الرابع والخامس عشر قضت على خرافة « أفيانوس » المحيط « باوي قومينا » .

(١) أندرسن . قصة نبات الماء .

المتفجر غيونا وغدراننا وانهارا . ورحلات الكابتن كوك في أواخر القرن الثامن عشر أثبتت أن لا وجود لقارة جنوبية تصل أفريقيا بآسيا وتكمل المحيط الهندي بحرا داخليا فقد لبث الناس حتى القرن الثامن عشر جاهلين بأعماق البحار سوى النزر اليسير .

قيل في موت أرسطاطاليس أنه ألقى بنفسه في دوامات مضيق أوريبوس يأساً من تفهم تيارات ذلك المضيق . وهو موت « غير فين لا بفيلسوف ولا بعالم أفيانوغرافي » (١)

إلا أننا أقرب إلى احترام الرجل الذي يحمله على الانتحار يأسه من تفسير ظاهرة طبيعية ما إلى احترام أمثال بلينيوس وهو يقول منذ نحو ألف عام « أي رهر قليس لا يعيش في البحر ولا في المحيط مهما عطا مخلوق ليس لنا به علم . بل الحق العجايب أننا أعرف بتلك المخلوقات التي غيبتها الطبيعة في الأعماق منا بأي أمر آخر »

فهذا الغرور وتلك الحماقة من عالم كبير ينهان عن روح لم يسلم منها بعض العلماء وهي روح خطرة في العلم سيئة الأثر على تقدم العالم . فذاك البلينيوس وهو لم يصف سوى نصف ومائة نوع من الأحياء البحرية — أي أقل مما وصفه أرسطاطاليس قبله — يتمشدد بمعرفة جميع الأنواع التي تعيش في البحار . ما عساه قاتل لو علم بالآلاف العديدة من تلك الأحياء التي كشف عنها علماء البحار بعده ؟

لم ينتحر هؤلاء العلماء يأساً من تفهم المحيطات كما زعموا عن أرسطاطاليس . ولم تملكهم صفاقة بلينيوس فيشيدوا بعلمهم الواسع العريض ولكنهم جمزوا البعثات الاستكشافية ورعوا البحار منذ القرن الماضي إلى اليوم . يخرجون منها عجائب ليست من « الأطلنطيس » ولا « أيس » في شيء ولا هي من نبات الماء وما إليها من خوارق . ولكنها بدائع ذلك الكوكب الذي نحيا على سطحه نسقتها الطبيعة تنسيقاً يتفق وما أودعته فيها من قوى وما فرضته عليها من نواميس .

وإنا لنستسمحن القاري أن تقدم إليه بعض أولئك الأعلام الذين أقاموا ذلك الصرح البديع بين قصور العلم . أعني صرح الأفيانوغرافيا . ولعل القاري راغب معنا أن يعرف طرفاً مما قاموا به في هذا السيل .

اكتشافات وأسماء أعلام

كان العالم بواس في سنة ١٧٥٢ من اعتقدوا بالطرفان فقال بأنه اذ

(١) سير وليام هيرمان . مؤسس الأفيانوغرافيا

غرض الماء كشف عن الجمال فالأودية . ولو واصل الماء هبوطه لظهرت أعماق البحار وديانا توسطها حال أخرى . فالحال المعمورة بمياه الاقياوسات تكمل سلسلة جبال اليابسة . وهي تقسم البحار أحواضاً متصلة فوق قممها المعطاة بالماء .

هذا النوع من التفكير قائم معطاه على أساس من المطلق ولكنه غير على إذ يتعدى ما يمكن استنتاجه من المشاهدات المباشرة إلا أن ما يعجبنا من برانش هو أن الاكتشافات الاقياوسية أثبتت أن قاع البحار أغوار سحيقة وجبال مرتفعة وأنه قد يمكن اعتبار تلك الجبال حلقات من السلسلة الأرضية . وأن في شواطئ بعض الجزر واحداً لها السريع الى أعماق بعيدة ما يدعو الى اعتبار هذه الجزر قاذ جبال شاخت برأسها على سطح المحيط . وأن المحيطات مقسمة الى أحواض تفصلها اسوار جبلية . وأن هذه الاحواض إن ظهرت متصلة فلا أن مياهها تنفلت أعالي فواصلها الجبلية قال صيادو المرجان « البحر لا قاع له » فهذا مراسيى يقولهم ووعد لو غنى أحد الأمراء بتجهيز سفائن خصيصاً لدراسة الأعماق . ومراسيى رجل فرنسى مفكر يرتكز تفكيره على قواعد الموازنة والتقابل « symétrie » ولما كان مجرد وجود الجبل يعنى وجود الوادى فقد استنتج أن الشواطئ الجبلية تعنى انحدار الشاطئ . عاجلاً الى الأعماق . ولم يقف مراسيى عند هذا المطلق . بل غنى بدراسة الأعماق القريبة وقسمها بحسب أنواع رواسبها وكان أول من وضع خرائط الأعماق مينا عليها نوع القاع من صخرى ورملى وطينى ولقد قيست درجة حرارة الماء تحت سطح البحر أثناء رحلات الكابتن كوك التي كشف فيها عن البحار الجنوبية . ولم يكن في استطاع قياس حرارة الماء الى عمق بعيد بدقة قبل اختراع ترمومترات النهاية الصغرى والنهاية العظمى وغيرها مما تجعل درجة الحرارة عند عمق معلوم ثم تبقى على تسجيلها فلا تتأثر بطبقات الماء التي نحترقها وهي عائدة الى سطح السفة .

الا ان دى سوسور تمكن في سنة ١٧٨٠ من قياس حرارة مياه البحر الايض على عمق ٦٠٠ و ١٠٠٠ متر بواسطة ترمومتر عادى لأساطفه بموصل ردى للحرارة .

تصل بنا هذه الملاحظات التي ترددت بين النخمين والملاحظة المباشرة الى أوائل القرن التاسع عشر حين انتشر نوع من الهواية هو عمل المجموعات الحيوانية والنباتية . وكان ذلك فاتحة عهد « الطبيعيين في الخلاء » أو أولئك الذين يحومسون بالاحراج والجبال والأودية يلاحظون الاحياء في وسطها الطبيعي ويتنبجون

منها مجموعات تمثل سكان المنطقة من حيوانات « Fauna » ومن نباتات « Flora »

في ذلك العهد استعان دوناتي ومارسيلين على دراسة احياء القاع الضحل قرب الشواطئ بمجرقة « dragne » الصيادين . والمجرفة كبس شيكى يحيط بفوهته أطوار من حديد ذى أسنة . تسحب على اسح فحرف الاطار الحديدى حبات الرمل أو الدفين وتلقى الكيس ما يجرف من ترمة ومن احياء تعيش على تلك التربة

وانشرت المجرفة بين علماء أوروبا مدأً بل أدوار ما استمر في فرنسا سنة ١٨٣٠ وفوربس في إنجلترا سنة ١٨٣٢ وسارس في النرويج سنة ١٨٣٥

كان من أثر امتحان الرواسب البحرية بالميكروسكوب في إيطاليا في أواخر القرن الثامن عشر أن لوحظت ظاهرة كان خا أحسن الأثر في استتارة حب الاستطلاع البحرى عند علماء القرن التاسع عشر ، ذلك أنهم لاحظوا تشابهاً بين الحفريات التي وجدوها الجيولوجيون في باطن الأرض على أبعاد كبيرة من البحر . وبين مخلوقات بحرية تعيش قرب الشاطئ . . . والحفريات كما يعلم القارىء بقايا احياء انقرضت في غابر عصور الأرض . وهنا دخل في روع الباحثين أنهم لابد مهتدون في قاع البحار الى نماذج حية من تلك المخلوقات التي لم يثروا الا على آثار انقراضها في قطاعات الجبال والأودية . وامتد خيال العلماء — وما حرم العلماء ملكة الخيال — الى يوم يكشفون فيه عن صورة حية لما كانت عليه الأرض منذ بضع ملايين من السنين .

وكاد فوربس الاسكتلدى يقضى على هذا الحلم الشائق اذ أوفى بعد رحلة الى بحر أيجيه : بأنه لا أثر للحياة في البحار بعد عمق ٦٠٠ متر ومع أن فوربس أدى الى الاقياوسوغرافيا أجل الخدمات — فهو أول من لاحظ بأن الاحياء البحرية تعيش جماعات لكل عمق معلوم جماعة خاصة منها تختلف عن جماعة عمق آخر — ومع أنه وصف كثيراً من حيوانات الأعماق الضحلة حول الجزر البريطانية فقد كان خاطئاً في زعمه أن لاهياة بعد عمق ٦٠٠ متر . وتصل سيرات على مخلوقات تعيش في البحر الايض على عمق ٣٠٠٠ متر . وجاء عهد وصل البلاد بالأسلاك التلغرافية عبر قاع البحر فكانت سبباً في سبر أعماق بعيدة . وكان أبعد غور وصل اليه ثقل مقياس العمق في سنة ١٨٤٠ أثناء بعثة سيركلارك روس الى القطب الجنوبي هو ٦٠٠٠ متر . وحدث في سنة ١٨٦٠ أن قطع سلك من أسلاك التلغراف البحرى على عمق ٢٥٠٠ متر فوجدت عالقة به مخلوقات حية .

كان طبعاً أن تثير أمثال هذه الاكتشافات في جميع الشعوب الحية الرغبة في الاستزادة من تعرف أعماق البحار ، واذ علم ويفيل تمسون الاسكتلندي بأن سارس البرونجي عثر على عمق ٦٠٠ متر في فيورد لوفورن على حيوان حي من فصيلة كانت تعد من المصائل المنقرضة ، توجه اليه لمشاهدة ذلك الحيوان ، وكان ويفيل تمسون من أولئك العلماء الذين بوا كبار الآمال على اكتشاف مثل حية من المصائل المنقرضة في الأعماق البعيدة . فارتاد الاطلانطيق على ظهر السفينة « لايتنج » مرة والسفينة « بوركوين » مرة أخرى ، وسبر حتى عمق ٤٥٠٠ متراً فوجد فيه مخلوقات حية منها ما يتصل بفصائل انقرضت منذ العهد الثلاثي والطباشيري .

طارت شهرة ويفيل تمسون في آفاق أوروبا وأمريكا نتيجة اكتشافاته ولكنه بلغ قمة مجده حين ألقى اليه مقاليد أكبر بعثة في تاريخ الاقيانوغرافيا . وهي بعثة « تشالنجر »

تشالنجر : « أعظم البعثات الاقيانوغرافية »

قامت تلك البعثة على ظهر « تشالنجر » وهي سفينة شراعية حولتها ٢٣٠٦ طن . ذات محركات بخارية مساعدة . خرجت من الجزر البريطانية في سنة ١٨٧٢ وعادت في سنة ١٨٧٦ بعد أن قطعت ٦٩٠٠٠ ميل في الاطلانطيق والباسيفيك ، وصلت فيهما حتى الحاجز الثلجي للقطب الجنوبي . أسد قيادتها الى ويفيل تمسون وكان من أهم أعضائها جون موري وبكنان ، وقيدت مشاهداتها في ٣٦٢ محطة حصلت منها على مجموعة ضخمة من الاحياء البحرية ونماذج المياه ونماذج القاع وسبرت حتى نيف و ٨٠٠٠ متر . ومهما أشيد بأبحاث من تقدموا « تشالنجر » فقد كانت هذه البعثة فتحاً مبنياً في دراسة المحيطات ، ولا غرو أن تؤرخ الاقيانوغرافيا تبعاً لها فيقال عهد تشالنجر وما قبله وما بعده .

استغرقت دراسة النماذج التي جمعتها البعثة ٢٠ عاماً كانت فيها أدبرة محط رجال العلماء من كل صوب . يتقاسمون شرف دراسة تلك المجموعات التي وزعت عليهم دون نظر الى جنسيتهم . لذا ظهرت مجلدات هذه البعثة الخمين متوجة بأسماء أكبر علماء الحيوان والنبات والجيولوجيا والكيمياء والطبيعة . ورغم السنين وتقدم الأبحاث الاقيانوغرافية وابتداع الآلات الدقيقة فلا تزال تلك المجلدات مرجعاً من أهم مراجعنا . وما تزال دراسة السير جون موري والأب رينار لرواسب المحيطات أكبر عمدة لن يختصون بهذا النوع من الدراسة .

ليس في مكتنتنا ونحن نستعرض سراعاً بعثات الاستكشاف

الاقيانوغرافيا أن نقف طويلاً بعثة تشالنجر . وستعرض لنا فرص عديدة للعودة الى نتائجها . وسكتفى هذه المرة تلخيصاً مقتضباً لتلك النتائج .

بعض نتائج بعثة « تشالنجر »

— وضع خرائط لاهوارس المحيطات والقضاء على المبالغات التي شاعت عن أعماقها وكان أحد عمق سيرة البعثة ٨٠٠٠ متر في شمال الباسيفيك (١)

— اثبات أن لا علاقة لحرارة مياه المحيطات بتغير الفصول بعد عمق ٢٠٠ متر

— اكتشاف درجة حرارة ثابتة للبياه العميقة في مساحات واسعة من المحيط . من ذلك أن اكتشفت البعثة ثبات حرارة مياه الاطلانطيق الشمالي بعد عمق ٤٠٠٠ متر عند درجة ٢٥ سانتجراد . كما أن حرارة مياه القاع في الباسيفيك ثابتة عند درجة — ٨٣ و . سانتجراد .

— دراسة كثير من تيارات السطح والأعماق في المحيطات . محاولة فهم تكوين الشعاب المرجانية . وقد تعارضت نظرية موري وهي المؤسسة على نتائج بعثة تشالنجر ونظرية داروين في أصل تكوين هذه الشعاب . ولا تزال المعضلة قائمة اذ لم يصل أحدهما الى نظرية مقنعة . ولعل بعثة « السير جون موري » في المحيط الهندي تلك البعثة التي تقوم على ظهر السفينة الاقيانوغرافية المصرية « مباحث » توفق الى تفسير مقنع

— اصلاح الخرائط الجغرافية فيما يخص بكثير من الجزر والشعاب

— تقدم المعارف الحيوية تقدماً كبيراً وخصوصاً ما عرف عن فصيلة الاحياء ذات الخلية الواحدة من « الرادبولاريا » و « الجلويجرنيا » . واكتشاف مئات من أنواع الاسفنج منها ذلك الحيوان البدع الذي أطلق عليه اسم « سلة أراهير فينوس » — أثر الأعماق على الحياة . ففى الظلام الدامس الذي يغمر تلك الأعماق تعيش مخلوقات كمن بصرها أو لاعيون لها أصلاً . وأعاضتها الطبيعة أعضاء فوسفورية تضيئ سبيلها في الغياهب .

تلك بعض نتائج بعثة « تشالنجر » نمر بها سراعاً على كره منا

١٥. أقصى عمق كان معروفاً حتى عهد قريب هو ١٠٤٣٠ متراً وذلك على مقربة من جزر الفلبين وأخيراً اكتشف الاستاذ بول بارفش عند شمال شرق بورتوريكو الاقنيل مرة بعمق ١٣٥٠٠ متراً . وقد قاسها بواسطة الجرار الذي يسبر الأعماق بطريق سرعة انتشار الصوت حتى قاع البحر ثم ارتداد صده مرة أخرى الى سطح الماء .

فقد كانت حادثاته خطره في عالم العلم . وكانت الأقيانوغرافيا في مهدها فنشأت ودرجت وتقدمت بخطوات الرجال في الماضي القريب الى حد أن الدهشة نمرونا اذ نعلم أن آخر مجلد من تقارير البعثة صدر في سنة ١٩٠٧ وأن بكنان أحد أعضاء البعثة لا يزال حيا . وأن السير جون موري قتل في حادثة سيارة سنة ١٩١٤ وكان قد حبس مبلغ ٢٠ ألف جنيه يصرف في سبيل بعثة جديدة ونشاء الصدف أن يقترن اسم مصر باسم السير جون موري اذ تقوم هذه البعثة على ظهر السفينة المصرية «باحث» في سبتمبر المقبل رافعة العلم المصري

بعثات أخرى

كانت « تشالنجر » نتيجة منطقية لتلك الحركة الواسعة التي اتجهت منذ القرن الثامن عشر إلى دراسة الطبيعة . وقد وافق قيام هذه البعثة ونجاحها تلك اللحظة العظيمة في تاريخ الامبراطورية البريطانية حين بلغت تلك الامبراطورية في أواخر القرن الماضي أوج عزها وشأور رفعتها . وبعثة « تشالنجر » ان امتازت فلا تمتاز بانفرادها ، ولا بأسبقيتها ولكن بأنها طمحت طموحا كبيرا وحققته مطمحا .

يد أن أمريكا وجهت بعثة إلى الباسيفيك معاصرة لتشالنجر . معاصرة لها أيضا رحلة السفينة الألمانية « غزال » حول الأرض . والبعثة الترويجية إلى شمال الاطلنطيق . معاصر لها العلامة الاقيانوغرافي اسكندر أجاسيز . وهو سويسري مولدا ونشأ هاجر إلى أمريكا ورفع عليها العلم على السفينة « بليك » والسفينة « الباتروس »

ولم تقف فرنسا ولا إيطاليا وراء الصفوف بل قامت الاولى بقسطها العلمي على ظهر « ترافيلور » و « تالسمان » في شرق الاطلنطيق من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٨٨٣ . وأدت الثانية واجبها نحو البحر الايض المتوسط بواسطة السفينة « واشنطن » . وطوفت سفينها « فيتور بيزاني » حول الارض

حتى تلك الامارة السعيدة . الضاحكة وسط ابتسام الرفيرا قدر لها أن يجلس على عرشها أمير عالم من سلالة الجريما لدى الابطال . هو البير الاول أمير موناكو . ارتاد المحيطات بين سنة ١٨٨٥ حتى وفاته في سنة ١٩٢٢ على يحوته الفخمة « أيروندل » الاولى والثانية و « برنيس أليس » الاولى والثانية . وهو صاحب الايادي البيضاء على الاقيانوغرافيا اذ ابتنى لها معبدا في قلب الحى اللاتيني بباريس . ومنحفا على صخرة موناكو العالية هو كعبة القاصدين ،

سواء من العلماء لدراسة مجموعاته النادرة . أو من أهل اللهي في مونت كارلو لمشاهدة الاكواريوم

وسواء كانت روسيا بالسفينة « فيياز » التي طافت حول الأرض . أو النمسا بالسفينة « بولا » التي درست الخوض الشرقي للبحر الايض واحتقرت قناة السويس وجاءت البحر الاحمر أو ناسن على ظهر « فرام » في المحيط المتجمد الشمالي . أو الدانيمارك بسفينها « أنجولف » فلم ترض لنفسها دولة من الدول الحية — تلك الدول التي يعتقد كثير منا أنها ساويناها أو تكاد لضع طرقات فتحناها أو مبان أفتناها أو أعلام وضعناها على غير مسميات . — أن تتعاضد في القيام بواجبها نحو نفسها ونحو الانسانية جمعاء . كلا . لم تترث بلجيكا عن توجيه بعثتها إلى القطب الجنوبي بين سنة ١٨٩٧ وسنة ١٨٩٩ . ولم تتوسد ألمانيا أوراق غارها بل عادت إلى كتابة اسمها في تاريخ علوم البحار اذ وجهت « المالدينيا » إلى الاطلنطيق والمحيط الهندي والمحيط المتجمد الجنوبي ما سمحت تلوجه .

كلا ولا هولندا التي أضافت جوهرة إلى تاج العلم بعثتها على ظهر « السيوجا » حول جزر الهند الشرقية « سنة ١٨٩٩ — سنة ١٩٠٠ »

وكما اختتم القرن الماضي بتلك الدول وهي في ميدان العلم أفراس رمان فقد افتتح القرن العشرين ببعثات أخرى لحمل أسماء مجيدة . وبكفينا ختاماً لهذا المقال أن نذكر أسماء الدول التي اشتركت في دراسة المحيطات منذ أوائل هذا القرن فهي هي موناكو وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة وانجلترا والترويج والدانيمارك وهي هي دواما وتكرارا .

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

نقله عن الفرنسية

أحمد حسن الزيات

وهي قصة واقعية من ذرائع الادب الألماني تصور طهارة الحب وكرم الايثار وشرف التضحية بأسلوب رائع قوي وتحليل بارع دقيق . يطلب من المكاتب الشهيرة ومن لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الساحة رقم ٣٩ والتمن ١٥ قرشا

القصص

إلى الواحات الخارجة

جنة الصحراء الغربية

(وجزيرة الناعمين) في عرف قدماء المصريين

من الإصقاع الجديرة بالزيارة في مصر الواحات الغربية تلك التي نجمل عنها كل شيء ولا نذكرها إلا في مقام التشويه أو العقاب أو النفي كأنها شقة من الجحيم. فكرت في زيارة تلك الناحية المنبوذة لأرى ما فيها من رهبة ووحشة فإذا بي أنتقل إلى جنة يانعة هوأوها رائق عليل، ونمرها وأفرعهم، وماؤها دافق غزير، يحف بكل أولئك كثنان من الرمل الباعم النقي تعلو وراءها فجاد صخرية تمتد إلى الآفاق مما جعل الواحة في ظني خير مزار في الربيع وشطر من الشتاء. أقلنى إليها القطار من مصر إلى مواصلة الواحات في عشر ساعات وهناك انتقلت إلى قطار الواحات الصغير الذي سار بنا بين ست ساعات وسبع إلى الخارجة فأخذ ذاك القطار ينق طريقه وسط الحقول الزراعية مسافة هي دون خمسة كيلومترات بعدما بدأ يصعد تدريجياً وقد استحال الظمى الراسب على الأرض رمالاً وعند الكيلو السادس وقفنا بمحطة: القارة وهي محطة عند اتصال الهضبة الصحراوية بالسهول الفيضية الخصبة. بعدها أوغل القطار في الصحراء صاعداً وسط وادٍ مجرب ظل يختنق تدريجياً وتقارب القطار جوانبه الصخرية المشرقة حتى إذا قاربنا الكيلو ٤ كنا فوق هضبة تنتثر بالحصى وكلما قطعنا ثلاثين كيلومتراً كنا نقف في محطة موحشة يأخذ القطار منها الماء ولا يقطنها من الأهلين نفر. وبعد نصف الهضبة دخلنا شبه وادي فسيح غير محدود الجوانب يسميه القوم «وادي البطيخ» لأنه يغص بكرات الصخر المسودة في أحجام مخانة فبدو وكأنها البطيخ وعند الكيلو ١٤ بدأنا نهوى خلال مجرى جاف جوانبه رائعة وكان الهبوط سريعاً وعرا حتى أن القاطرة حبست بخارها فكانت تهوى المسافة كلها بقوة إحداد ليس غير، ولبثنا تلوى ليات متعاقبة وسط ذاك الصخر المجدب حتى خرجنا إلى سهل

أدى بنا إلى محطة: المحاريق: عند الكيلو ١٦٥ وهي بدء الوهدة التي تتوسطها الواحات ولذلك كنا نبصر على بعد بقاعاً تزينا الحضرة في شبح قاتر. والمحاريق محلة لا بأس بمانيها. كانت قد اتخذت مقراً للنفي الإداري وكان يرسل إليها المحكوم عليهم من كافة الطبقات حتى على القوم من المنضوب عليهم وكانوا يتركون أحراراً بعائلاتهم يتجولون إلى حدود معينة وراءها يقف الهجاة لكيلا يتجاوز المجرمون الحدود، والمفقر منهم كان يكاف عملاً يؤجر عليه خمسة قروش في اليوم. لكن الحكومة رأت في النفي أداة للتشفي والانتقام وبخاصة من العمد الذين كانوا يسعون إلى نفي من يكرهون. هذا إلى المبالغ الطائلة التي تكلفها الحكومة في الاتفاق على النفي لذلك قررت الغاء.

قنا إلى محطة الشركة: وسميت كذلك لأنها كانت المستودع الرئيسي لشركة سكة حديد الواحات وكانت شركة انجليزية سعت بمجهود كبير أن تباع متاعها للحكومة لأنها خسرت خسائر فادحة ولم يسد الخط شيئاً يذكر من نفقاته ونمت الصفقة سنة ١٩٠٩ ودفعت الحكومة ربع مليون جنيه فأيدت بذلك ما يعلله الأجانب عن سعادتنا العليم. وهي لا تزال تُخسر فيها كل عام، إذ من إرادها البالغ أربعة آلاف جنيه يخص خط الواحات ألف جنيه وهذا المبلغ لا يذكر بجانب النفقات. وجل الأيراد وقف على البلح في شهور الصيف

أخيراً عند الكيلو ١٩٥ دخلنا محطة الواحات الخارجة وقادني الغلام إلى نزل بدبع ما كنت أتحيل وجوده في تلك الناحية النائية هو «فلا» أبنقة تزينا الأشجار الباسقة ونحوطها كثنان الرمل الناعمة. يديرها مصري يدعى «مصطفى عمر» ويقوم على خدمة النزلاء والسائحين خير قيام، ولقد تصفحت سجل الزائرين عنده فكان من بينهم الكثير من الوجهاء، مصريين وأجانب وبينهم بعض الأمراء. على أني أسفت لما علمت أن الرجل لا يكاد يتكسب من وراء عمله هذا شيئاً ولا تكاد تساعد مصلحة السكة الحديد بشيء حتى ولا زيادة الدعاية لمنطقة الواحات وتخفيض أجور السفر إليها في يزيد اقبال السائحين عليها كما كانت الحال في عهد الشركة

الانجليزية التي كانت تروج للراحت فكان عدد من يؤمها يفوق
المئات سنويا ، أما اليوم فلا نكاد نرى المصريين نسمع عن الأقاليم
شيئا رغم ما فيه من جاذبية كبيرة



معبد هيبس بناء دارا الاول ، الفارس ، تمجيدا لآمون

قت أتجول في المدينة فبدأت بزيارة آثارها التاريخية فالواحة
كانت عامرة أيام قدماء المصريين، وإبان حكم الرومان ولعل أجل
آثارها : معبد هيبس الذي بناه دارا الاول في القرن الخامس قبل
الميلاد لتمجيدا لآمون والمعبد عظيم الامتداد شامخ العمد فاخر
البناء يكاد يحاكي معابد الكرنك

وهناك مدافن رومانية قديمة بها بضع مئتين من المقابر أقامها
الروم من اللبن في قباب صغيرة تزينها في البعض صور القديسين
وفي البعض الآخر أشباه البوائك والأعمدة

وسكان الواحات : يمتنون بصلة الى المصريين القدماء والى
الرومانين، وقد لاحظت ذلك في سجنهم المصفرة وتقاطيعهم النحيلة
المخطوطة ، ولا يزال للعائلات الرومانية الصرفة هالك بقية في
اثنين : عائلة الصندبية ، عائلة الادارسة . ويمتازون بأدمغتهم
المبسطحة من نواصيا . والعجيب أن أهل البلاد اعتنقوا الاسلام
جميعا فلا نجد منهم مسيحيًا واحدًا ويظهر أنهم أسلموا مجبرين وكانوا
يعتصمون بالصحرَاء هروبا من أراضي الريف وما أثقلها من
ضرائب إبان حكم الممالك ، وهم لا يزالون يحتفظون بالكثير من
الشعائر المسيحية رغم أنهم مسلمون ، فتلا شاهدتهم يعدون سمف
النخل الأبيض لضفره في أشكال عدة احتفالا (بحمد الزعفر) على
نحو ما يفعل اخواننا الأقباط هنا . وينهشم مسجد ذو مثذنة
قصيرة كان من قبل كنيسة .

ومن أعجب ما رافقني وباني القوم ومساكنهم فهي من طابق واحد
أو اثنين تبنى باللبن وتجمع كلها في كتلة واحدة تشقها سراديب
ضيقة متوقفا واطلة لا يستطيع الانسان السير فيها الا منحيا
وليأتها من الأعاجيب . ولا تتخللها فتحات أو نوافذ قط ، لذلك
كانت حالكة الظلام في رابعة النهار . ومنها ناحية يسمونها
(احدره) أرضها صخرية زلقة ممضة وعرة . وسط ذاك الظلام
الدامس رايت قدماى فيها مرتين . ولقد كانت تلك السراديب وسيلة
من وسائل الدفاع ضد غارات البدو والبرابرة الذين طالما
ماغرت البلاد بغاراتهم ، فكان الواحد من الأهليين يعتصم بتلك
المدارز ليمنع العدو من احتراق حرمة داره ، وفوق ذلك فمن تقيهم
وهج الشمس المحرقة صيفا ، ولما رأت مصلحة الصحة اليوم ما يخلفه
ذلك الضيق والظلام من الأوساخ وحظر الأمراض ، فتحت خلال
الطرق كرى صغيرة في مسافات متباعدة أنارتها اليوم بعض الشيء
على أن دغم ذلك كنت أسير في سراديب كأنها السرايوم أو اليه ظلاما
ورحشة ، وكثيرا ما كنت أصطدم بالمارة خصوصا عند مفاجات
الثبات الديدة لتلك المفاوز وقد استرعى نظري السامون وكأهم
من مكفوف البصر ، يسرون في تلك الطرق بخفة عجيبة وعلى ظهورهم
قرب الماء ، ولا يخطئون البيوت ولا تزل أندامهم أبدا . ولقد أضائق
رب بيت من تلك البيوت ، فكنت أتوقع أن آوى الى كوخ صغير أو قاعة
وسط تلك المطاوى الحالكه ، ثم دخلنا البيت من كوة صغيرة واشد
ما كانت دهشنى عند ما رأيتنى وسط بيت مشيد البناء طلى بالملاط
ورصف بالبلاط على نحو ما نقطن هنا في مصر

والعيون والينابيع : مشورة في الواحات في كثرة لا يكاد
يحصيها المد حتى قبل أن في الواحة الخارجة وحدها ثمانمائة عين بين
صغير وكبير ، وهذا الماء الغزير يتفجر من طبقة من الحراسان
الرملي على عمق يتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ مترا والواحات في وهدة
متوسط ارتفاعها عن سطح البحر يزيد على خمسين مترا ونحف بها
الجاد الجيرية والطباشيرية من جميع الجوانب تعلو في مدرجات
أعلاها فوق اربعمائة متر وبخاصة ناحية الغرب عزرع تلك الواحة
٣٠٠ كم في الطول وبين ٣٠ و ٨٠ في العرض . ومن صدوع
ذاك الصخر الجبرى تتفجر العيون العديدة ، وغالب العيون كانت
متفلة في عهد الرومان فكانوا يحفرون حول العين متسما الى عمق
كبير ويضعون منقور الخشب وجذوع النخل في شكل الآابيب
لحصر الماء ، ثم تطمر الحفرة ، ويستدل القوم على وجود العيون كلما
رأوا منخفضا وطبا يبدو نز الماء فيه ، وتجاوره ربوة .

(ينح)

بلياس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكي موريس مترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

« تابع »

بلياس — أخاف عليك السقوط ... — أمك يدك ...
مليزاند — لا تفعل ، أريد أن أغمس يدي في الماء ... من
ينظر إليهما ، يظن أن بهما اليوم مرضا !
بلياس — آوه ! آوه ! حذار ، حذار من الوقوع في الماء !
مليزاند ! آوه ! أشعرك !
مليزاند — (تهض) لا أستطيع أن أبلغه !
بلياس — شعرك انغمس في الماء
مليزاند — نعم ، انه أطول من ذراعي ... انه أطول مني
(سكوت)
بلياس — لقد وجدك على حافة عين مثل هذه تبكين .
أند كرين ؟
مليزاند — نعم
بلياس — وماذا قال لك ؟
مليزاند — لا شيء ... لم أعد أذكر ... نيت كل كلماته
بلياس — وهل دنا منك ؟
مليزاند — نعم ، وأراد أن يقبلي
بلياس — وأنت ؟ هل أرضيت رغبته ؟
مليزاند — كلا
بلياس — ولماذا ؟
مليزاند — آوه ! رأيت في قاع الماء شيئا يتحرك !
بلياس — كدت تسقطين في الماء ... لماذا تعبين ؟
مليزاند — بالخاتم الذي أعطاني إياه
بلياس — لا تلعبى به فوق هذا الماء العميق
مليزاند — يداى لا ترتعدان
بلياس — ما أشد بريته ! لا تقديه في الفضاء هكذا !
مليزاند — آوه !
بلياس — هل سقط ؟
مليزاند — سقط في الماء !
بلياس — أ ، هو أين هو ؟

مليزاند — لم أراه أثناء وقوعه
بلياس — أعتقد أنى أراه بشع في الماء بريقا
مليزاند — خاتمي ؟

بلياس — نعم ، نعم ... انظري جيدا
مليزاند — آوه ! إنه منا بعيد ! لا ، ليس إياه ... لقد
فقد وغاب عن البصر ... لم يعد إلا دائرة كبيرة على سطح الماء ...
ماذا نصنع الآن ؟
بلياس — لا تجزعى من أجل خاتم ، هذا أمر ضئيل الشأن .
سنجده أو نجد غيره
مليزاند — كلا لن نجده ولن نجد غيره أيضا ! كنت أعتقد
أنه في يدي ... وكانت يدي حريصة عليه ، ولكنه وقع في الماء على
الرغم من هذا الحرص ... قدفته في الفضاء بقوة شديدة كاني أردت
له أن يبلغ الشمس !
بلياس — تعالى سنعود للبحث عنه في يوم آخر . تعالى لقد
حان الوقت ، سيحدثون عنا بعد قليل ... سمعت ساعة البرج تدق
اثنتي عشرة مرة تعلن الى الناس منتصف النهار ، وقد سقط الخاتم
في الماء قبل ان تتلاشى الضربة الأخيرة في الهواء !
مليزاند — ماذا نقول لأخيك (جولو) اذا سأل عنه ؟
بلياس — الحقيقة ، الحقيقة ! (يخرج جان)

المنظر الثاني

(غرفة في القصر — جولو راقد على فراش ومليزاند جالسة
بالقرب منه)
جولو — آه آه : نخلي عنك الجزع فليس مأصابنى بذي
خطر إني في حال حسنة ولن يكون لجراحي أثر سيء ... ولكن لا
أستطيع تفسير ما حدث ! كنت أصيد في الغابة مبتهجا هادئا ... ثم
جمع جوادي دفعة واحدة دون أن أعرف السبب ... هل رأى
شيئا غريبا مخوفا أدخل على نفسه الرعب والفرع ؟ سمعت ساعة
البرج تدق اثنتي عشرة مرة تعلن الى الناس منتصف النهار ، وقبل
أن تتلاشى الضربة الأخيرة في الهواء ، أقبل الجواد فجأة وجرى
كفرير مجنون ... وظل في عسوه حتى صدم شجرة غليظة ...
وقعت على الأرض ، وأعتقد أن الجواد وقع على صدري ... شعرت
في تلك اللحظة بأن الغابة كلها تثقل على وتزعج مني الحياة في ألم
مبرح ... وأيقنت أن قلبي يتمزق ... ولكنه والحمد لله سليم في مكانه ...
لا تجزعى ولا تخافى . ستلتئم الجراح ونعم : إلى الغاية الشاملة

الأميل الياس

« بقية المنشور على صفحة ٦ »

لها رفيقة فتاة من أهل الاقاليم ولدت في اسرة شريفة ولكن مولدها لم يكن شرعياً ، وكانت هذه الفتاة مدموازيل لاسديناس ذكية بارعة الذكاء ، حساسة قوية الحس ، مثقفة واسعة الثقافة ، وكانت المودة بينها وبين سيدتها قوية متينة ، دامت عشرين لم يكدر صفوها مكدر ، ثم لاحظت صاحبة الدار ان زوارها أو فريقا منهم اذا انصرفوا عنها لم يخرجوا ، وانما أتموا سمرهم عند الفتاة ، فغاضها ذلك وكانت القطيعة بين الصديقين ، ولكنها لم تكن قطيعة مألوفة إنما كانت حدثا من أحداث العصر في باريس ، انقسم له الادباء والفلاسفة انقساماً عظيماً ، تنصب بعضهم للشيخة وتندصب بعضهم للفتاة ، وكانت كثرة الفلاسفة وعلى رأسهم دامير d'Alembert من أنصار الفتاة وكانت الارستقراطية المعتدلة والمحافظة من أنصار الشيخة .

ثم استأنفت الحياة المنظمة طريقها عند صاحبنا ، واتخذت الفتاة لها نادياً أو صالوناً أدياً واشتدت المنافسة بين هاتين المرأتين . وصاحبنا الآن في الثامنة والستين من عمرها قد فقدت البصر منذ ثمان عشر عاماً ، وعظمت مكاتبتها في أوروبا حتى لم يكن عظيم من الاوربيين يزور باريس الا رأى حقاً عليه نفسه ولمكاتته أن يلقاها ويتحدث اليها . وفي اكتوبر من هذه السنة ١٧٦٥ زار باريس رجل من عظماء الانجليز هو هوراس ولبول Horace Walpole . كان أبوه روبرت ولبول Robert Walpole وزيراً وكان هو عضواً في البرلمان . فلما مات أبوه ترك السياسة ، وانصرف الى الادب والفن ، وكان في الخمسين من عمره . ولم ير هذا الرجل بدا من أن يزور صاحبنا هذه ويغشى ناديا كما كان يغشى أندية الادب والسياسة كلها في باريس . فلما رأى هذه الشيخة أنكرها ، وكتب الى صديق له يصفها بأنها عجوز عياء فاجرة العقل . على أن وقتنا قصيراً لم يمحض على هذه الزبارة حتى تغير الامر بين هذا الانجليزى وهذه الفرنسية ، وتكررت الزيارة فوق الانجليزى من نفس هذه المرأة موقفاً غريباً رد اليها الشباب بل رد اليها الصبي قاجته ، وأنا أعنى بهذه الكلمة معناها . احبته وقد أشرفت على السبعين ولم يرفض هو هذا الحب . ومن المحقق انه لم يلق هذا الحب بمثله ، ولكنه أضمر لهذه المرأة مودة قوية صادقة لم تغيرها الايام واظهرها اعجاباً لاحد له . واتصلت أسباب المودة والحب بينهما ما أقام في باريس ، فلما رجع الى لندرة اتصلت بينهما الكتابة ،

مليزاند — أشرب جرعة من الماء ؟

جولو — ليس بي ظمأ . شكراً لك

مليزاند — أتريد مصدغة أخرى ؟ ... أرى على هذه نقطة

صغيرة من الدم

جولو — كلا . لست في حاجة الى مصدغة أخرى

مليزاند — أصدقني القول يا جولو . هل تتألم من جراحك

كثيراً ؟

جولو — كلا . كلا . ليست هذه أول مرة تصيبني فيها

الجراح ... خلفت من حديد ودم

مليزاند — أغمض عينيك وتماق النوم . سأقضى الليل كله

بجوارك

جولو — جنى نفسك التعب فلست في حاجة إلى شيء .

سأنام كالطفل الوديع ... ماذا جرى ؟ مليزاند ! لماذا تبكين دفعة واحدة

مليزاند — (تستخرط في البكاء) إني ... إني مريضة

جولو — مريضة ؟ ماذا بك ؟

مليزاند — لأدري ... الحياة هنا تغمر على المرض ...

آثرت أن أقول لك ذلك اليوم ... لست بسعيدة هنا

جولو — ماذا حدث ؟ هل أساء اليك أحد ؟

مليزاند — كلا . ليس هذا ما أعنيه ...

جولو — إنك تخفين عني شيئاً في أغوار نفسك . أنفضي

إلى جملة حالك . من الذى يكدر عليك صفو حياتك ؟ أهو الملك ،

أم أمى أم أخى بلياس ؟

مليزاند — لأحد يكدر على صفو الحياة . إنك لا تستطيع

إدراك نفسي ... شيء أقوى منى ...

جولو — لا تسلى زمام نفسك إلى أوهام تبلبل بالك

وتشيقك . ماذا تريد أن أفعل ؟ هل عدت طفلة غرة تلاعب

بليك أفكار الخيال ؟ هل زهدت في زوجك ورغبت في هجره ؟

مليزاند — آوه كلا . ليس هذا هو ... أتمنى أن أذهب معك

... لا أريد أن أعيش هنا بعد اليوم ... أشعر بأن عمرى قصير

ولن أستمتع بالحياة طويلاً

جولو — ولكنى أريد أن أقف على علة ذلك ... سيعتقد

الناس إذا سمعوا قولك ، أنك فقدت رشذك ، أو أنك طفلة يفر

بها حلم ساذج . تكلمى أهو بلياس الذى ... يقينى أنه لا يتحدث

إليك كثيراً

(يتبع)

وكان يأتي إلى باريس من حين إلى حين ليرى حبيبته أو ليرى عاشقته ، أو ليرى يتيمة ، كما كانت تسمى نفسها . فقد كانت تسمى نفسها بقيمة وتسميه هو وصيا . وكانت هو يسميها ابنته الصغيرة . وكان الحنان بينهما كما أقوى ما عرف الناس من الحنان بين المحبين . وكانت نتيجة هذا الحب أربع مجلدات نشرت بعد موتها وفيها ثمانمائة من الرسائل التي اتصلت بينهما . وهي آيات من آيات الأدب الفرنسي لا أكثر ولا أقل ، فيها تصوير لهذه العواطف الباردة ، الشاذة ، التي لم يألفها الناس والتي تملأ قلوبهم مع ذلك الرحمة وبراً ، وإشفاقاً ، وعطفاً . ومارأيت في هذه الضريرة التي نبغت على السبعين والتي تكتب لصاحبها رسائل حب وغرام كرسائل الفتيات اللاتي لم يتجاوزن العشرين . على أن صاحبها كان انجليزيا ، ومعنى ذلك أنه كان يخاف السخرية ، والمزاح ، وكانت الرقابة مضروبة على الرسائل في إنجلترا ذلك الوقت . فكان صاحبنا مروعا دائما يخشى أن تفض رسائل صاحبه . وإن يعرف ما فيها من هذا الحب الغريب ، فيتندر الناس به في القصر وفي الأندية . فكان يرد صاحبه إلى القصد في تصوير عواطفها الحارة ، وكانت هي تخافه في ذلك ، وكان الأمر يفسد بينهما أحيانا ، ولكنه لا يلبث أن يعود إلى خبر ما كان . وانقطعت رسائله عنها مرة فكتبت إليه : يظهر أنك لا تريد أن تظهرني من أمرك على شيء ، فاحذر أيها الوصي أن تصبر على ذلك فاني خليقة إن فعلت أن أرسل إليك سكرتيري وإن أكلفه الإسراع إلى لندن وأمره أن يلزمك وإن يرسل إلى بأنائك ، وأن يعلن إلى الناس جميعا وفي كل مكان أنني بيمينك ، وانك وصي ، وأنى أحبك ، وإن يهيا لي عندك مكانا فالحق به ، وأعلن إلى الناس جميعا ما بيننا ، لأخاف فضيحة مهما تكن ، فاختر لنفسك بين الفضيحة والكتابة إلى . ولعلها كانت في بعض الوقت تدعن وتطيع ، وترد نفسها إلى القصد ثم تثور فتسل نفسها على سجيبتها وتطلق حبها صريحا حراً . وكذلك عاشت هذه المرأة خمسة عشر عاما ، استرد قلبها فيها شبابها كله وتبينت هي وتبين هو وتبين الناس في عصرهما ، ومن بعدهما إن ما اندفعت فيه هذه المرأة من الحب واللهم ، ومن المحبون والفساد ، ثم من الجسد الخصب والنشاط المتج ، كل ذلك لم يكن الاضياف بالحياة واقتدادا لهذا النور الذي يحجبها إلى النفس . وهو الحب ، ومصارعة لهذا العدو الفائنك وهو اليأس . فلما بلغت السبعين أو كادت تبلغها ظفرت بالحب عند هذا الانجليزى ، وظفرت به من غير طريقه كما كان يقول المعاصرون ، فإن العيون هي أوضح طرق الحب إلى النفوس ، ولكن الحب قد يسلك إلى النفوس طريق الأذان كما قال شاعرنا القديم . وأكبر

الظن أن صوت هذا الانجليزى هو الذى حمل الحب إلى نفس هذه الفرنسية فثبته فيها تثبيتا .

وفي سنة ١٧٨٠ ماتت هذه المرأة وكتبت قبل موتها بقليل جدا إلى صاحبها كتابا تنبؤه فيه بقرب آخرتها . وتنبؤه بانها لا تأسف لفراق الحياة ، لأنها لا ترى في الحياة خيرا بعد أن كتبت إليها أن لا تلقاه . وتنصح له بأن يستمتع بالحياة ما استطاع ، وتنبؤه بأنه سيحزن عليها ، فليس من اليسير أن يتمزى الناس عن كان يؤثرهم بالحب . فلما أتمت املاء كتابها هم سكرتيرها الشيخ أن يقرأ عليها كمادته ، فلم يستطع لأنه كان يقطع قراءته بالبكاء . هنالك احست هذه المرأة المتشائمة اليانسة التي اسرفت في سوء الظن بالناس : احست أن هذا السكرتير لم يكن يعمل عندها ليعيش . فقالت له بصوت خافت فيه نغمة الموت ، وفيه مع ذلك نغمة الرضى والنقطة أ كنت تحبني اذا ؟

هذه صورة من صور هذه المرأة وهي من غير شك أشد هذه الصور اتصالا بالنفوس ، وتأثيرا في القلوب ، ولكن هذه المرأة صورا أخرى عظيمة الخطر جدا في حياة الأدب الفرنسى . فقد كانت ناقدة ، ولها في أدب فرنسا ، وفي كبار أدبها خاصة آراء قيمة تثير الإعجاب لرقها ولبراعة الصيغ التي كانت تعلن فيها . كانت تؤثر فولتير ، وكانت تضيق بروسو فانظر إلى هذه الجملة البديعة التي تنقد فيها أسلوب جان جاك : « إن لروسو حظا من الوضوح ، ولكنه وضوح البرق ، وله حظ من الحرارة ولكنها حرارة الحمى » . واتصلت هذه المرأة بأصحاب السياسة ، واتصلت بالعظماء والأشراف وكانت منهم ، وقد كتبت إليهم وتلفت منهم الكتب وقد صورتهم وصوروها ، فهذه ناحية أخرى من حياتها لها أثرها في توضيح التاريخ السياسى والاجتماعى لفرنسا في القرن الثامن عشر وقبل الثورة الفرنسية الكبرى .

وبعد فلعل أحسن ما كتب عن هذه المرأة إلى الآن فصلان كتبهما سانت بوف في أحاديث الاثنين تستطيع أن تقرأ أحدهما في الجزء الأول ، وثانيهما في الجزء الرابع عشر ، فإن أردت الإيجاز المقنع فاقرا الفصل الذى نشر عنها في « مجلة العالمين » أول أغسطس ، فإن آيت أن تتكلف القراءة أو تشق على نفسك بالبحث فقدر هذا الوصف الذى كان يصفها به فولتير ، وفكره فانه يعطيك منها صورة قوية ، تملأ نفسك رحمة واعجابا . فقد كان فولتير يسميها : « الضريرة المبصرة » .

طه حسين



الفجر

مجموعة من الشعر

يا ويح مصر من الشعر والشعراء ! يا ويحها من هذا الشعر الزائف الذى يملأ الصحف والدواوين ! فكل من اهتزت في يده براعة في هذا البلد يريد أن يكون شاعرا ، حتى غصت بالشعراء حجرات المدارس ! ! الشعر في كل أنطار الارض عبقرية لا يسمو اليها الا الاقلون ، أما في مصر ، فهي العوبة اللاعب ولهو اللاهى عندى أنه إن لم يرتفع دهبان الشعر بقارنه الى مستو أعلى من مستواه الشعورى والفكرى ، بحيث لو كان هائما في الارض حاق به في السماء ، وإن كان القارىء في السماء الاولى ، سما به الشعر الى السماء السابعة ، أقول ان لم يكن الشعر كذلك ، فأولى به أن يحبس في صدور قائله ، فلا يجد سبيلا الى المطابع والمكاتب ثم الى رموس القراء . أما هذا الهراء الذى يتردد كل يوم ، في كل صحيفة وفي كل مجال ، فيجب أن ينبد ، لان الحياة آثمن من أن تضيع في مثله ، وأقسم بالله لو أن الامر يدي ، لانزلت العقاب - العقاب الادبى على الاقل - بهذه الفئة المتشاعرة التى ضقت بها ذرعا .

أقول ذلك بمناسبة هذا الديوان الذى أطلق عليه صاحبه اسم « الفجر » ، ودفعه الى الاستاذ الزيات لاقراءه وأعلق عليه ، فانطلقت أبحت فيه عن شعور قوى واحد أو فكرة عالية فلم أجدا ! فيم اذن قيل ، وفيه طبع ونشر ، لست أدري . استمع اليه حين يقول في استقبال صديق :

مرحبا ، مرحبا ، بخير صديق غاب عنا عاما فخطاه دهرنا
مرحبا ، مرحبا ، بخير صديق كان عن أصدقائه مزورا
رام بعدا عنا ، ورام خصاما فجفانا واستبدل الوصل هجرا
بينما نحن لانطبق فراقا لصديق ، وإن تباعد شهرا

وبعد فأتى أتوجه بالرائاء والاشفاق ، لا الى مؤلف الديوان ولكن الى قرائه : فهو شعور ضعيف في لفظ ركيك ، سيى الطبع خشن الورق .

ز . ن . م

القصاص

هذه القصة من تأليف الكاتب الانجلى المعروف جون جالزورثى وهى من أشهر قصصه ان لم نقل انها أقوى قصة له على الاطلاق . وقد نقلها الى العربية الاستاذان صالح بكتاش والسيد كامل الشرقاوى يهاجم المؤلف في هذه القصة العدالة كما تضمها القوانين الصارمة التى لا تحسب للشاعر تاختلعه والمواقف المتباينة حسابا . فهى مأساة تدور حول زوجة لاقت من زوجها الغليظ عيشة مريرة . ومع ذلك فلا يبيع لها القانون أن تنفصل عنه لتزوج من شاب آخر أحبها وأحبته . كذلك انتقد المؤلف نظام السجون وبين كيف أنها أقرب الى افساد النفوس الطيبة منها الى اصلاح النفوس الشريرة . ونحب أن نلاحظ انحرافا في ترجمة عنوان القصة ، فقد كان أولى أن يكون العدالة أو القضاء لأنها أصدق تعرييا لكلمة Justice من هذا العنوان الحالى

ز . ن . م

١ - القوميات

٢ - روح المبدأ والوطن

هما بحه وعنان من الشعر نظمها الأديب السورى حسن حفار وهما كما يدل عليها العنوانان ، بفيضان بحماسة الشباب وقوة الوطنية وسمو الطموح ، فلا يسعك - حين تلاوة ما يحويان من شعر الا ان تحس مع الشاعر نزعة وثابة الى الحرية والعزة القومية كما نلح حيننا ظاهرا الى الاقطار العربية عامة ولكننا يجب أن نشير الى ضعف في اللفظ يسود الكتائين . ونرجو أن يتاح لهذا الشعور المتدفق لفظ يناسبه قوة وجزالة

ز . ن . م

الرسالة - لدى الادارة أعداد من المجلة من مبدأ

ظهورها الى الآن تباع بثمنها المعتاد لكل من يطلبها